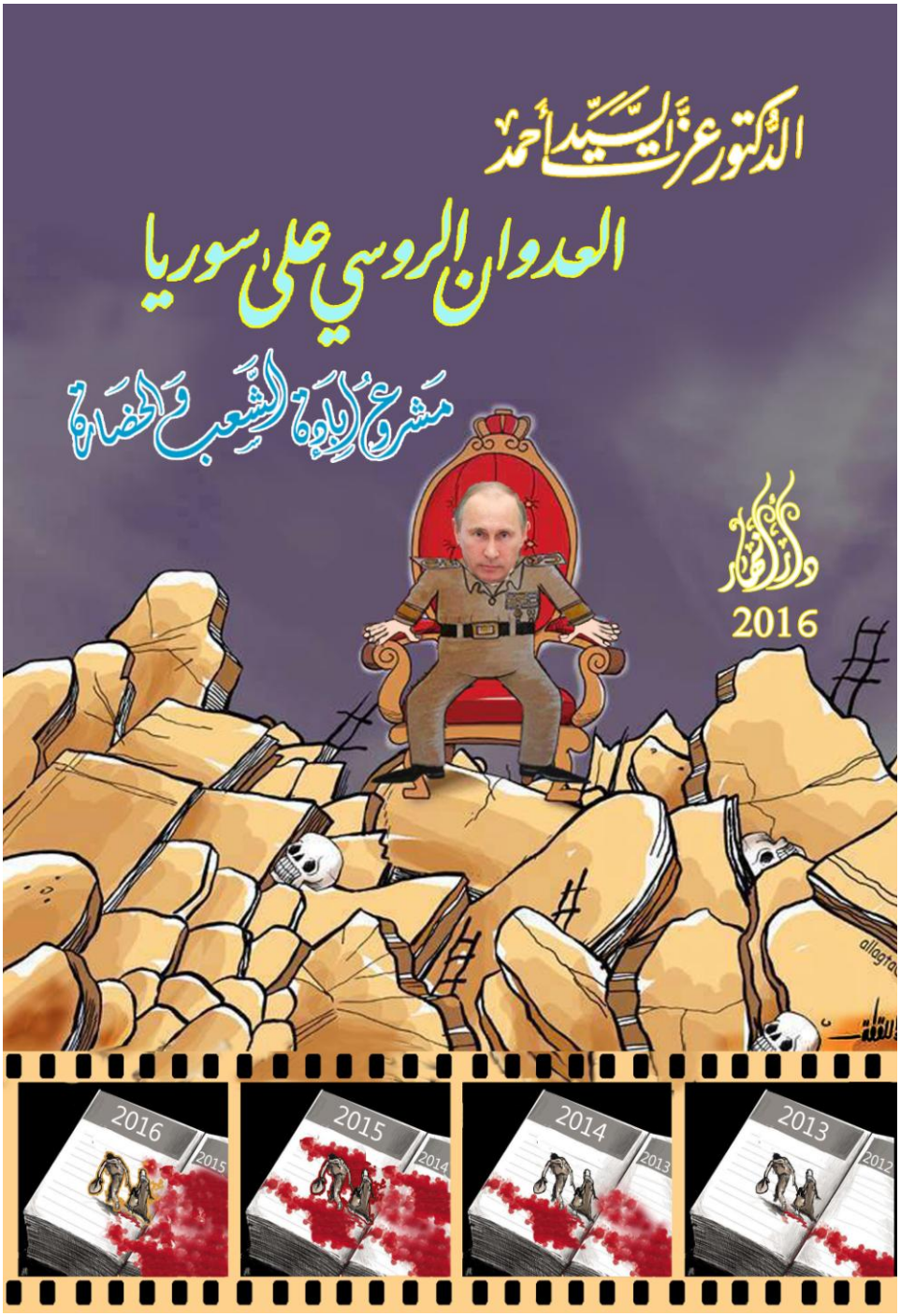
الدكتور عزت السيد أحمد
العدوان الروسي على سوريا
مشروع إبادة الشعب والحضارة
دار الأقمار
2016
2016
2015
2015
2014
2014
2013
2013
2012

الدكتور عزت السيد أحمد

العدوان الروسي على سوريا
مشروع إبادة الشعب والحضارة

الدكتور عزت السيد أحمد

العدوان الروسي على سوريا

مشروع إبادة الشعب والحضارة

دار الأفكار

2016

دار أنهار للدراسات والترجمة والنشر

كل الحقوق محفوظة

تمنع طباعة هذا الكتاب أو بعضَه بأيِّ وسيلةٍ من وسائل الطِّباعةِ والنَّشر والإعلام من دون موافقةٍ خطيَّة من الناشر أو المؤلِّف

تطلب النسخة الورقية أو الإلكترونية من الناشر على البريد التالي

Sameah3@gmail.com

بيروت

٢٠١٦م

العدوان الروسي علىٰ سوريا

مشروع إبادة الشَّعب والحضارة

الدكتور عزت السيد أحمد

٢١٢ صفحة

بدا العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا مفاجئاً، بل إنَّ الكثير من المحللين والسياسيين أبدوا دهشتهم من هٰذه المفاجأة التي لم تخطر علىٰ بال... واستند المتفاجئون إلىٰ أن بوتين هٰكذا دائماً يفاجأ العالم بتصرفات غير متوقعة كما فعل في الأزمة الأوكرانيَّة... رُبَّما قناعتهم هٰذه بعقليَّة بوتين هي التي هيأتهم للدهشة والحكم بأنها خطوة مفاجئة. ولٰكن في المقابل بدا هٰذا العدوان لكثيرين أيضاً امتداداً للدَّعم الرُّوسي للنِّظام السُّوري منذ بداية الثَّورة!!!

بدا العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا مفاجئاً، بل إنَّ الكثير من المحللين والسياسيين أبدوا دهشتهم من هٰذه المفاجأة التي لم تخطر علىٰ بال... واستند المتفاجئون إلىٰ أن بوتين هٰكذا دائماً يفاجأ العالم بتصرفات غير متوقعة كما فعل في الأزمة الأوكرانيَّة... رُبَّما قناعتهم هٰذه بعقليَّة بوتين هي التي هيأتهم للدهشة والحكم بأنها خطوة مفاجئة. ولٰكن في المقابل بدا هٰذا العدوان لكثيرين أيضاً امتداداً للدَّعم الرُّوسي للنِّظام السُّوري منذ بداية الثَّورة!!!

أين الحقيقة؟

هل العدوان مفاجئ أم مبيَّتٌ؟

الحقيقة أنَّ العدوان ليس مفاجئاً من جهة، ولم يكن مبيتاً ولا مدروساً من جهة ثانية. إنها عدوان الفرصة، فرصة انفتحت أمام الرُّوس للوصول إلىٰ أهداف ونتائج تفيدهم واستثمروها علىٰ الفور من دون تضييع أي وقت... العدوان الرُّوسي هو حال ذَلكَ الضيف الذي وجد الفرن حامياً فخبز رغيفين ثلاثة عندما وجده مفتوحاً.

لم تكن مقدمات الدعم الرُّوسي للنظام تأسيساً للعدوان بحال من الأحوال. كما لم يكن القرار مفاجئاً هٰكذا. هي جملة ظروف ومعطيات وجد الرُّوس أنفسهم أمام فرصة تاريخيَّة إن لم يستثمروها فستضيع، ولن تتكرر... بالضبط هٰذا ما حدث، لم يكن العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا ممكناً قبل هٰذه الفترة ولا بحال من الأحوال، وأدرك الرُّوس أنَّهُم إن تأخروا في التدخل والعدوان فرُبَّما لن يتمكنوا من ذَلكَ بعد حين؛ شهر أو أقل أو أكثر. ولذَلك لم يتأخروا دقيقة في استثمار هٰذه الفرصة التاريخيَّة علىٰ الإطلاق، خلال أيام تم التوافق الرُّوسي الإسرائيلي الأمريكي، وخلال أيام بدأ العدوان. ومرَّ بالتفاصيل التي سنأتي عليها منذ مرحلة التهيئة والتحضير إلىٰ ساعة إعداد هٰذا الكتاب للنشر، الكتاب يصدر والعدوان الرُّوسي مستمر من دون توقف.

هنا سيبرز سؤال محقٌّ: إذا لماذا لم تنتظر حَتَّىٰ ينتهي العدوان؟

والجواب باختصار: لأنه لا يوجد وقت محدد للعدوان، فقد ينتهي العدوان والكتاب في الطباعة، وقد ينتهي بعد أيام أو أكثر وقد يدوم وقتاً طويلاً.

هٰذا الجزء المنطقي من الجواب علىٰ السُّؤال، ولٰكنَّ الجزء التحليلي أو الشخصيِّ بمعنى من المعاني فهو أنِّي أعتقد، أعتقد لا أظنُّ، أني قلت كل ما يجب عليَّ أنا قوله في هٰذا الشَّأن بما في ذٰلكَ استشراف آفاق العدوان وما يمكن أن يؤول إليه أو ينتهي إليه.

لقد تتبعت الموقف الرُّوسي من الثَّورة خطوة بخطوة تقريباً منذ بدايات وضوح الموقف الرُّوسي من الثَّورة السُّوريَّة، وصولاً إلىٰ العدوان المباشر الذي كان موضوعه فصول هٰذا الكتاب ما عدا الفصول الثلاثة الأولى فهي مقالات وتعليقات نشرت بتواريخها ثمَّ في كتابين لي: لوحات من ألم الثَّورة، عام ٢٠١٤م، والثَّورة السُّوريَّة والحلول التَّهريجيَّة عام ٢٠١٥م.

أعني مباشرة لن يكون من جديد في العدوان وحيثياته وآفاقه أكثر مما رسمته من رؤية وتقدير، ما لم يكن بمعجزة إلٰهيَّة فلله الأمر من قبل ومن بعد.

صحيحٌ أنَّ مقالات هٰذا الكتاب تتبع أحداث العدوان وحَتَّىٰ ترتيبها في الكتاب تبعاً لتواريخ كتابتها إلا أنَّها رؤية تحليليَّة شاملة للموقف الرُّوسي والسياسة الرُّوسيَّة وعلىٰ نحو خاصٍّ من سوريا والثَّورة السُّوريَّة.

يتألَّف الكتاب من عشرين فصلاً. انفرد الفصل الأوَّل بطبيعةٍ خاصَّةٍ وهي كونه تعليقات قصيرة تابعت فيها الموقف الرُّوسي والتَّصريحات الرُّوسيَّة تجاه الثَّورة السُّورية منذ بداية الثَّورة حَتَّىٰ نهاية عام ٢٠١٤م تقريباً. كان هٰذا الفصل ضروريًّا للوقوف علىٰ التَّسلسل الزَّمني لتنوعات الموقف الرُّوسي ومدى ما فيه من ثباتٍ

وتغيُّرٍ. وبقي منها فصل قصير لم أتذكره إلا في مراحل إخراج الكتاب الأخيرة فجعلته خاتمة للكتاب مع بعض التَّمهيد الختامي للكتاب. وكذلكَ تقريباً الفصلان الثاني والثالث لم يخرجها عن سياق فترة ما قبل العدوان. أما بقية فصول الكتاب فكلُّها متعلِّقةٌ بالعدوان الذي سمِّي تدخلاً في البداية، أوَّلها لتسريبات موافقة أمريكا وإسرائيل علىٰ التَّدخل الرُّوسي في سوريا علىٰ أنَّهُ لمحاربة الدَّولة الإسلاميَّة وقلت في هٰذا المقال إنَّ هٰذا الكلام كذب، وكان ذٰلكَ قبل نحو شهر أو أقل قليلاً.

مشروع إبادة الشَّعب والحضارة، العنوان الرديف أو الشارح أو الموازي للعنوان الرئيس، لم يأت مصادفة وإن أتى بديلاً لآخر هو: المقدمات والآفاق والنَّتائج. مشروع إبادة الشَّعب والحضارة عنوان كبير وخطير ولٰكنَّهُ ليس من اختراعي ولا من تحليلي إنَّهُ من أقوال الرئيس الرُّوسي ووزير خارجيته تحديداً، الأقوال التي تكرَّرت غير مرَّة بصيغٍ مختلفةٍ ومتعدِّدةٍ، هي لم تتضمن مباشرة هٰذه الفجاجة في الهدف ولٰكنَّهَا تعنيه وتصل إليه بكلِّ تأكيدٍ.

أن لا يعرف الرُّوس أنَّ ما في سوريا ثورة فهٰذا وهمٌ، وأن لا يفهم الرُّوس حقيقة ما يدور في سوريا فهٰذا وهمٌ أيضاً، يكفي أن يعرفوا ويفهموا أن ما في سوريا ثورة ويدعموا النِّظام حَتَّىٰ نتهمهم بالمشاركة في إبادة الشَّعب والحضارة.

الأمر لا يتوقَّف هنا في الحقيقة بل تجاوزه إلىٰ العدوان الوحشي المباشر علىٰ سوريا شعباً وأرضاً وتاريخاً وعمراناً... لم يكن الرُّوس أقلَّ وحشيَّةً من النِّظام السُّوري في قصف المدن السُّوريَّة.

ومع ذَلكَ الأمر لا يتوقَّف هنا، بل ثَمَّة تصريحات مخزية أطلقها كل من بوتين ولافروف ضدَّ الشَّعب السُّوري والثَّورة السُّوريَّة وضدَّ الإسلام كون الثَّورة كانت من المسلمين كما فرض عليها أن تظهر، علىٰ الرَّغْمِ من أنَّها ليست كذَلكَ فعلاً، الثَّورة ثورة شعب، وأن يكون المسلمون حملة لواء الثَّورة مع تراجع الأقليات الأُخْرَىٰ لخوفٍ أو غيره لا ينفي عنها صفة الثَّورة، وأسباب الثَّورة قائمة منذ انقلاب حافظ الأسد علىٰ السُّلطة وليست جديدة، ولَكنَّهَا وصلت في السنوات الأخيرة إلىٰ الحدِّ الذي لا يطاق ولا يحتمل وانفجرت مع الرَّبيع العربي بطريقة أو أُخْرَىٰ علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ الممهدات والدَّعوات كانت سابقة علىٰ الرَّبيع العربي.

كل ما يصدر عن روسيا من أي مستوى، ومثله كل ما يصدر عن أمريكا من أيِّ مستوى، علىٰ أنَّ ما في سوريا صراع أو إرهاب أو أيِّ شيء من هٰذا الهراء كلام وهمٌ وكذب صريح، الكل يعرف أنَّها ثورة علىٰ نظام فاسد مجرم، والكلُّ يعرف مدى إجرام هٰذا النِّظام، ولَكنَّهُم منذ البداية عمدوا إلىٰ الكذب والتَّضليل مثل النِّظام تماماً وربَّما أكثر للتَّعتيم علىٰ جرائم النِّظام السُّوري ومنع شعوب العالم من التَّعاطف مع الشَّعب السُّوري، ومن أجل حرف بوصلة الثَّورة عن مسارها وقيادتها إلىٰ نهاية مأساوية. في الأسابيع الأولى من الثورة وصفت الصحافة الأمريكيَّة الثَّورة الإسلاميَّة بأنَّهَا إرهابُ متطرفين إسلاميين ضدَّ دولةٍ علمانيَّةٍ ديمقراطيَّةٍ.

ما أريد أن أختم به هٰذه المقدمة هو أنَّ روسيا ليست متفرِّدةً ولا فريدةً ولا نشازاً في دعم النِّظام السُّوري ومحاربة الثَّورة

السُّـــوريَّة، ولَكنَّهَـــا مفضـــوحة بطبيعتهـــا الغبيـــة كمـــا ســـأبيِّن في مقـــال خاتمـــة الكتـــاب. خـــلاف أمريكـــا وإســـرائيل والحكـــام العـــرب الـــذين حَـــتَّىٰ الآن يزعمـــون وقـــوفهم مـــع الشَّـــعب السُّـــوري فيمـــا هـــم منـــذ اللحظة الأولى ضدَّ الثَّورة ومع النِّظام.

عزت السيد أحمد

٢٠١٦/٢/٤م

الفصل الأوّل

الموقف الروسي من النظام والثورة

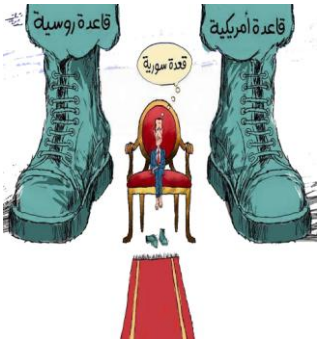
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا كما أبنا في المقدمة وفي الفصول التالية من هٰذا الكتاب لم يتوقَّف منذ بداية الثَّورة السُّوريَّة علىٰ الإطلاق، وقد مرَّ هٰذا العدوان بمرحلتين الأخيرة وهي العدوان المباشر الصَّريح، والمرحلة السابقة أو الأولى وهي مرحلة العدوان الصريح غير المباشر.

في هٰذا الفصل، الأول، أعيد نشر تعليقات مقالات قصيرة خاطفة تتبعت الموقف الروسي من الثَّورة السُّورية والعدوان علىٰ سوريا والشَّعب السُّوري في الوقت ذاته. وهي كلها منشورة مرتين؛ الأولى علىٰ مواقع التواصل الاجتماعي في تاريخها المرقوم أدناها، والثانية في كتابي: لوحات من ألم الثورة، الصادر عن دار ببيروت عام ٢٠١٤م. وقد آثرت جمعها في هٰذا الفصل لتعلقها بالكتاب تعلقاً صميميًّا علىٰ الرَّغْمِ من سابق نشرها النشرتين السابقتين المشار إليهما. وسأوردها مرتبة حسب تعاقبها الزمني لسهولة التتبع التاريخي للحدث وتطوراته، مع الحفاظ علىٰ النصوص والعناوين كما هي تماماً إلا من بعض التعليقات التي قد يقتضيها السياق أو التوضيح.

كيف تفهم روسيا الحوار[1]؟؟؟

قال الرَّوس صراحةً يجب أن يبقى بشار حَتَّىٰ نهاية ولايته الدستورية (٢٠١٤) وسيرشِّح نفسه (انتبهوا: سيرشح نفسه) وإذا رفضه الشَّعب يذهب... يذهب... (اللي ما فهم يفهم): يذهب...

كلُّ هٰذه الثَّورة... وكلُّ هٰذه التَّضحيات من كلِّ الأشكال والألوان في أرجاء سوريا لم ير الرُّوس فيها شيئاً...

ومع ذٰلكَ، السُّؤال الأبرز هو: هل يا ترى إذا بقي سينجح غيره في الانتخابات؟؟؟

أيها الأغبياء الحقراء التافهون لو عرف السوريون ولديهم أدنى ثقةٍ في أنَّهُ سيفعل ذٰلكَ بأمانة لما قاموا بالثَّورة أصلاً وانتظروا هٰذه السَّنوات القليلة الثقيلة.

الرُّوس سيدفعون الثَّمن ليس لوقفتهم مع النِّظام ولكن لغباء سياستهم.

أكثر السُّوريين يدركون قذارة الموقف الرُّوسي ولسان حالهم يقول: «والله والله والله إن لم نجعل الرُّوس يدفعون الثَّمن لنكونن أقذر البشر».

تحشيش آخر طراز[2]

منذ أيام حسب وسائل إعلام قام انتحاري بتفجير نفسه بمجموعة من المسؤولين المسمون خلية الأزمة ومات الجميع، واليوم يتنطع فلاديمير بوتين ويطالب بالقبض علىٰ منفذ الانفجار.

---

(١) .كتب هٰذا المقال في ٦/٦/ ٢٠١٢م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

(٢) .كتب هٰذا المقال في ١٨/٧/ ٢٠١٢م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

لسان حال السوريين يقول: يا فهيم... يا فهيم... يقولون انتحاري... انتحاري... ابعث دورية أو اذهب أنت وألق القبض عليه.

أين يغط لافروف[٣]؟

ما القصة؟

سيرجي لافروف منذ فترة غائب عن السَّاحة

لم يخرج، ولم يطلق صواريخه الدفاعية عن النظام!!!

هل شعر باليأس؟

أم كلف النِّظام سواه؟

أم في باله موال جديد؟

شيروكين شوركها على الآخر[٤]

قال شيروكين مندوب روسيا في الأمم المتحدة:

إذا تنحى بشار الأسد فسيأتي من حاشيته من هو أسوأ منه؟

أووووووف...

أكيد هناك تماس كهربائي!!!

وهل سوريا مزرعة أم معمل بسطرمة للأسد وحاشيته يتوارثونها بالدور... والسوروين آخر من يعلم؟

قيل مثل ذَلكَ في بدايات الثورة.

---

(٣) .كتب هذا المقال في ٢٢/٧/ ٢٠١٢م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

(٤) .كتب هذا المقال في ٢٦/٧/ ٢٠١٢م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

وقلت تعليقاً: هٰذا عينه ما يزيد في تأجيج الثورة أكثر...

فهل جاء دور الروس في تأجيج الشعب السوري؟

روسيا والدفاع عن المسيحيين[٥]

من دون مقدمات ولا مؤخرات تنطع وزير الخارجية الروسي سيرچي لاڤروف لإعلان مخاوف روسيا علىٰ المسيحيين السوريين، وبأن روسيا ستتولى الدفاع عن المسيحيين. وطبيعة الواقع تؤكد عدم اقتراب أحد من المسيحيين وعدم تعرض أحد لهم بشر إلا من النظام الذي وقع علىٰ يديه عدد من القتلى من المسيحيين بمناسبات مختلفة، ومع وضوح ذٰلكَ فإن لاڤروف يوجه حرابه إلىٰ الثورة ويريد أن يحمي المسيحيين منها، وهٰذا في الحقيقة أمر مريب يضمر وراءه نوايا خبيثة وخطيرة.

ولٰكن: سؤالٌ ضروريٌّ:

من هو المسيحي السُّوري الذي فوَّض لاڤروف أن يتكلَّم باسم المسيحيين السُّوريين؟

وعلىٰ هٰذا المنوال:

لماذا من حقِّه كمسيحيٍّ أن يدافع عن المسيحيين؟

ولماذا من حقِّ الشِّيعة أن يدافعوا عن الشِّيعيين والشيوعيين؟

وليس من حقِّ المسلمين أن يدافعوا عن المسلمين؟

من المعلقات علىٰ جدار المجتمع الدولي.

---

(٥) .كتب هٰذا المقال في ١٩/١٠/ ٢٠١٢م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

الموال الروسي[٦]

الوزير الأول للخارجيَّة السُّوريَّة سيرجي لاڤروف يريد عودة المراقبين وزيادة عددهم!!!

ما شاء الله!!! منذ فترة وأنت ترفض بشدَّةٍ دخول المراقبين، وترفض بشدَّةٍ أن يكون العدد كبيراً...

ما الموال الذي في رأسك يا حجي لاڤروف[٧]؟

بعد إخفاق مهمة المراقبين العرب في عام ٢٠١١م برزت فكرة مراقبين دوليين، بمعدل ثلاثة إلىٰ خمسة آلاف مراقبي لتغطية سوريا كلها تقريباً، حسب مزاعمهم، وكانت روسيا تفرض بشدة فكرة المراقبين وتحديداً العدد الكبير... وفجأة علىٰ ضوء معطيات معينة وثب لاڤروف ليطالب بزيادة عدد المراقبين، يبدو أن روسيا تريد المراقبين لحماية تقسيم سوريا كما توحي المعطيات غير المرئية.

روسيا تفكر بقيادة جديدة لسوريا[٨]

روسيا تسرب معلومات احتبارية، غالباً اختبارية، بتشكيل قيادة جديدة لسوريا، لا جديد فيها عن واقع السُّلطة السُّورية، يتم فيها تغييب الأسد وإبقاء النظام كما هو تقريباً مع ترضية لبعض رموز المعارضة بمناصب هنا أو هناك...

---

(٦) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٢/١٠/٣٠م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

(٧) . لم أوضح في تلك الفترة حقيقة التوجه الروسي لأني لا أريد فتح مثل هٰذا الباب للنقاش، ولٰكن الآن صارت الأمور أوضح من أن تقبل الإخفاء.

(٨) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٢/١١/٣٠م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

إذا كانت روسيا أو غيرها تظنُّ أنَّها قادرةٌ علىٰ فرض أيِّ قيادةٍ علىٰ سوريا فإنَّها واهمةٌ...

لم تقم الثَّورة لتحقيق مصالح روسيا ولا أمريكا ولا أيِّ بلدٍ في العالم[٩].

فليفهم كلُّ من يجب أن يفهم.

المعارضة التي تعترف بها روسيا[١٠]

لماذا تقرِّر روسيا عدم التَّعامل إلا مع هيئة التَّنسيق علىٰ أنَّها تمثِّل الثَّورة، وهيئة التنسيق تمثِّل النِّظام ولا تمثِّل الثَّورة أبداً[١١]؟!

هل تريد استبدال النِّظام بنفسه مثلاً؟

أليس هٰذا غباء غير محدودٍ؟

إذا لم يكن غباء غير محدود فهو استغباء غير مقبول أبداً.

الطبخة الأمريكيَّة الروسيَّة[١٢]

وبعيداً عن التَّفاصيل:

---

(٩) . الغريب المضحك العجيب أن روسيا بعد كل ما حدث مصرة علىٰ إحياء مشروعها الآن في عام ٢٠١٦م كما هو من دون تغيير بعد التغيرات الهائلة التي حدثت.

(١٠) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٢/١١/٣٠م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

(١١) . الغريب أيضاً والمضحك العجيب أن روسيا بعد كل ما حدث مصرة حَتَّىٰ الآن عام ٢٠١٦م علىٰ طريقة تعاملها ذاتها مع الثورة السورية ومن يمثل الثورة السورية، حَتَّىٰ الآن ترى أن المعارضة الشريفة هي المعارضة التي تقف مع النظام ضد الثورة.

(١٢) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٢/١٢/١٢م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

يريدون فرض حكومة وفاق من النِّظام والمعارضة وبقاء كلِّ شيء علىٰ ما هو عليه.

لم يتغيَّر الموقف الأمريكي بالجملة

ولٰكنَّهُ بدأ يميل إلىٰ المحافظة علىٰ النِّظام بالعلن.

متى يفهم أدعياء تمثيل الثَّورة؟

الروس ناطقون باسم النظام(١٣)

حسن نصر الله لبوچدانوف:

لا حلَّ في سوريا إلا بالعودة إلىٰ حضن بشار الأسد

نقلت صحيفة (الأخبار) اللبنانيَّة التَّابعة لإيران أنَّ حسن نصر الله لخَّص موقفه من الحلِّ السِّياسي في سوريا للمبعوث الروسي ميخائيل بوچدانوف بقوله:

لا حلَّ في سوريا إلا تحت سقف بشار الأسد...

بشار الأسد خط أحمر...

بشار الأسد ليس رئيساً لسوريا فحسب بل رئيساً لمحور المقاومة في المنطقة كلها كلها كلها...

ورفض نصر الله حَتَّىٰ فكرة تقصير ولاية بشار الأسد الحاليَّة.

لله في خلقه شؤون

هٰذا ما يريده الروس وأعلنوا تلميحا وتصريحاً، ولٰكن لماذا يقولونه بلسان النظام أو حليفه حسن نصرالله؟ هل هو جبن أم مواربة؟

---

(١٣) .كتب هٰذا المقال في ٢٥/١٢/ ٢٠١٢م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

تحشيش حظر السلاح[١٤]

ميدليتيف يطالب بحظر تسليح كلِّ الأطراف في سوريا.

كلامٌ جميلٌ... ولٰكن:

أكيد هٰذا كلام واحدٍ حشَّاشٍ أو أنَّهُ يعيش في كهوف تورابورا لأنَّهُ لا يوجد سياسيٌّ في العالم حَتَّىٰ المبتدئين منهم، لا يعلم أنَّ الثُّوار وحدهم المحاصرون الممنوعون من التَّسلح.

وأيضاً: لماذا لم تقل ذٰلكَ عندما كان الشَّعب أعزلاً وكانت روسيا تضخُّ كلَّ أنواع السِّلاح ضخاً لطرف واحدٍ في الصراع هو النِّظام؟

وأيضاً: مع عدم حاجة النِّظام للسِّلاح، فلديه ما يكفيه عشرات السِّنين، روسيا صاحبة القرار هل ستلتزم بهٰذا القرار؟

ما سر النخوة الروسية؟[١٥]

بعد ما أثير من فضائح قيام روسيا بتسليح النظام

روسيا تقول إنَّهَا تزود النِّظام بأسلحة دفاعيَّة فقط. وهي تنفيذٌ لعقودٍ قديمةٍ.

جميل، والسُّؤال:

لماذا لم تنفِّذ روسيا هٰذه العقود القديمة جدًّا منذ أيَّام الاتحاد السوفييتي إلا في هٰذه الفترة عند استخدامها النِّظام لمواجهة ثورة الشَّعب السُّوري؟

---

(١٤) .كتب هٰذا المقال في ٢٨/١/ ٢٠١٣م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

(١٥) .كتب هٰذا المقال في ١٣/٢/ ٢٠١٣م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

والسُّؤال أيضاً للعالم الأنيق:

لماذا كان العالم يمنع وصول هٰذه الأسلحة قبل الثَّورة ويصادرها، وصار يسمح بها الآن لمواجهة الثَّورة، علىٰ الرَّغْمِ من القرار الدُّولي الجديد بحظر تصدير السِّلاح إلىٰ سوريا الذي لم يكن موجوداً قبل الثَّورة؟

هل يمكن أن يتساءل السوريون هٰذه الأسئلة ويفهموا مغزاها؟

اعتراف مفاجئ بالمعارضة(١٦)

سيرچي لاڤروف يستجدي المعارضة السُّوريَّة الذهاب إلىٰ موسكو!

ماذا حدث يا ترى؟

منذ سنتين وأنتم ترفضون استقبالهم أو حَتَّىٰ سماع صوتهم.

منذ تأسس المجلس الوطني السوري في تموز ٢٠١١م وروسيا ترفض استقباله وترفض الاعتراف به، وكذٰلكَ مع الإئتلاف الذي تأسس في أواخر عام ٢٠١٢م. والذي حدث حَتَّىٰ راح الروس يستجدون المعارضة الذهاب إلىٰ موسكو هو أن النظام في حالة انهيار شبه تام، وتريد روسيا تمييع الأمور وتخفيف الضغط علىٰ النظام أو تحقيق انتقال سلطة بطريقة تبقي النظام كما هو.

تنغيم على حل سياسي(١٧)

وزير الخارجيَّة السُّوري الأوَّل سيرجي لاڤروف في لقائه مع وزير الخارجيَّة السُّوري الثَّاني وليد المعلم يقول:

---

(١٦) .كتب هٰذا المقال في ٢٠/٢/ ٢٠١٣م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

(١٧) .كتب هٰذا المقال في ٢٧/٢/ ٢٠١٣م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

لا حلَّ في سوريا إلا الحلِّ السِّياسي.

يا ترى:

هٰذا جوابك بعد الاتصال بصديق؟

أم بعد حذف إجابتين؟

ولٰكن، إياك أن تقول هٰذا رأي الجمهور.

المشكلة ليست في الحل السياسي بحد ذاته كما أشرت غير مرة، المشكلة في ماهية الحل السياسي.

روسيا والأردن يريدان[١٨]

الأردن يتَّفق مع روسيا علىٰ ضرورة بقاء الأسد[١٩].

هٰذا ليس جديداً، ولٰكنَّهُ تمَّ التَّصريح به اليوم.

والسُّؤال:

نعرف ما تفعله روسيا، ولٰكن ماذا فعلت الأردن لتحقيق رغبتها؟

وماذا يمكن أن تفعل؟ وماذا سيكون شعورها بعد سقوطه؟

روسيا ناطقاً باسم النظام[٢٠]

منذ أواخر عام ٢٠١٢م بدا علىٰ نحو مريب أن وزير الخارجية الروسي هو الناطق الرسمي باسم النِّظام السُّوري حَتَّىٰ إذا تأخر الروسي

---

(١٨) .كتب هٰذا المقال في ٥/٣/ ٢٠١٣م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

(١٩) .كان هٰذا التوافق في زيارة العاهل الأردني إلىٰ روسيا خلال هٰذين اليومين.

(٢٠) .كتب هٰذا المقال في ٢٥/٥/ ٢٠١٣م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

عـن البيانـات أو المـؤتمرات الصـحافية لتبيـان الوضـع السُّـوري اسـتغرب النـاس ذَلكَ. والسؤال:

إذا كانت روسيا علىٰ عظمتها قد سَخَّرَتْ نفسها ناطقاً باسم النِّظام

فكم هي هزيلةٌ هٰذه الروسيا وكم هي مُهِمَّةٌ وعظيمةٌ سوريا

سوريا التي لا يريدون تسليمها لأحد لا يثقون فيه... ليست روسيا وحدها بل معها أمريكا وإسرائيل من وراء أمريكا.

روسيا من الشيوعية إلى الشيعية(٢١)

تصريحات أغرب من الخيال،

الخامنئي لاڤروف: لن نسمح لأحدٍ بإدانة تدخل حزب الله في سوريا فإِنَّهُ يدافع عن المقدسات الشِّيعيِّة والطائفة الشِّيعيَّة الكريمة!!!

ما شاء الله، ما شاء الله، تقوى شيعية غير طبيعية، يعني الآن صرت أعذر الذين كانوا يخلطون بَيْنَ الشيعية والشيوعية، فأنا شخصيًّا صار يلتبس علي الأمر اليوم بفضل التصريحات الروسية التي تضع العقل في الكف.

والحرب الصريحة على الإسلام(٢٢)

وفي باب تصريحات ولا في الخيال أيضاً ما جاء في هٰذه الأيام علىٰ لسان بوتين أمام الكرملين:

لن نسمح للطائفة السُّنيِّة باستلام الحكم في سوريا

---

(٢١) .كتب هٰذا المقال في ٦/٨/ ٢٠١٣م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

(٢٢) .كتب هٰذا المقال في ٦/٨/ ٢٠١٣م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

لأنَّ السُّنة منبع الإرهاب والتَّطرُّف

الجيد أنَّ الروس واضحون ودج عكس الأمريكان الذي يشبهون البصلة.

الروس وتنحي الأسد(٢٣)

تصريحات روسيا ملفتة تقول:

إنَّ بشار الأسد وافق علىٰ التَّنحِّي... ولٰكن بطريقةٍ حضاريَّةٍ.

انتهى التَّصريح وانفتحت آفاق التَّعليقات التي لا حدود لها.

علىٰ أي حال:

كيف يمكن أن يكون التَّنحِّي بطريقةٍ حضاريَّةٍ؟

أمرٌ يحتاج إلىٰ شرح.

الغريب المضحك العجيب أنَّ التلفزيون السُّوري بعد يومين فقط نفى بشدِّةٍ أن يكون بشار الأسد يريد أن يرحل بطريقةٍ حضاريَّةٍ!!!

وانفتحت القرائح أيضاً علىٰ التَّعليق

لاڤروف بعد يومين اضطر للقول:

بشار الأسد لن يتنحَّى طواعيةً...

وَفَتَحَ أيضاً الآفاق أمام التَّأويل والتَّعليق.

خاتمة

كانت هٰذه سيروة الموقف الروسي من الثورة ومن النظام في محطاتها ومعالمها البارزة، وما بينهما وحولها تفاصيل كثيرة تجور في فلكها. لا يعنيني من لم

(٢٣) .كتب هٰذا المقال في ١٨/١٠/ ٢٠١٣م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي عام ٢٠١٤م نشر في كتابي: لوحات من ألم الثورة.

يقرأ الموقف الروسي قراءة صحيحة مازالت تحكم التحليلات السياسية علىٰ مختلف المنابر، ولٰكنَّ الموقف الروسي واضح. الروسي لا يتمسكون بالأسد شخصاً، ولٰكن إن استطاعوا ذٰلكَ فهو الأفضل. ولا يتمسكون بالنظام إن وجدوا بديلاً مناسباً، ولا يبالون بما سيكون إن عجزوا عن فعل شيء. هٰذا الكلام بسيط في صورته معقده في طبيعته. لا أطيل فيه ففيه ما فيه وكثير من التوضيح فيما يليه.

.

الفصل الثاني

فيتو دبل كيك

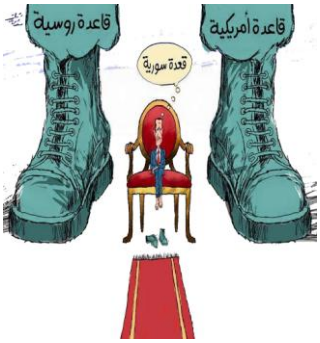
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

كان لي شرفُ السَّعي[٢٤] في تهشيم الأمم المتَّحدة في عام ١٩٩٠م بسلسلة مقالاتٍ وأبحاثٍ نُشرت في عددٍ من الصُّحف والمجلات العربيَّة حينها، واجتمعت معاً في كتابي الذي صدر في عام ١٩٩٣م[٢٥]. لم تكن مشكلتي مع الأمم المتحدة مشكلة الڤيتو. كلُّ الأمم المتحدة مشكلة، ونبعُ مشكلاتٍ. ولٰكن رُبَّما كان الڤيتو هو المحرِّض الأساس لتتبع عورات الأمم المتحدة.

بقيت الأمم المتحدة بكلِّ تناقضاتها. بقيت علىٰ الرَّغْمِ من أنَّها كانت علىٰ وشك التَّصدع الانهيار بعد انهيار الاتحاد السُّوڤيتي. بقيت لأنَّ فلسفة إيجادها لا تنتهي، لا تتصدَّع. توافقت الأمم علىٰ حقنها بالمورفين إلىٰ أن صمدت ونسي دعاة التَّجديد ما كانوا ينادون به.

لن نعود إلىٰ تلك السَّيرورة. ولٰكنَّ الڤيتو المزدوج الذي ظهر مع الثَّورة السُّوريَّة أمرٌ يستحقُّ وقفة اهتمام. الڤيتو المزدوج الأوَّل الذي استخدم من قبل

---

(٢٤) . كتب هٰذا المقال في ٢٣/ ٥ / ٢٠١٤م، ونشر في حينه في عدد من مواقع النت وشبكات التواصل الاجتماعي، وفي العام ذاته (٢٠١٤م) نشر ضمن كتابي الصادر عن دار أفٰار: الثَّورة السُّورية والمؤامرة الكونية.

(٢٥) . الأمم المتحدة بَيْنَ الاستقلال والاستقالة والترميم؛ الأمم المتحدة في النظام العالمي الجديد . دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.

الصين وروسيا لمنع إدانة النِّظام السُّوري كان الأول في تاريخ الأمم المتحدة. منذ نشأة الأمم المتحدة لم يتم استخدام أيُّ ڤيتو مزدوج في كلِّ ما سبق من القضايا والأزمات العظيمة الفظيعة الكبرى...

كان يكفي ڤيتو واحد فقط لتعطيل القرار أيِّ قرار. فلماذا الڤيتو المزودوج المكرر المرة تلو المرة؟

الڤيتو المزدوج الأول الذي استخدم للدِّفاع عن النِّظام السُّوري كان سابقةً تاريخيَّةً في تاريخ الأمم المتحدة.

ثمَّ جاء الڤيتو المزدوج الثاني ليضيف سابقةً تاريخيَّةً ورقماً قياسيًّا. ثمَّ جاء الثالث ليكون معجزةَ السياسة العالمية...

ولٰكن أن يستخدم الڤيتو المزدوج خمس مرات في ظرف سنتين لمنع إدانة النِّظام السُّوري نفسه في حين أنَّهُ لم يحصل مثل ذٰلكَ في تاريخ الأمم المتحدة فهٰذا يجب أن يسجل من عجائب الدنيا، من المعجزات التي لا نظير لها في تاريخ البشرية.

أظنُّ وظنِّي يخصُّني:

ليست إيران وراء الڤيتو الرُّوسي الصِّيني.

وليست إسرائيل وراء الڤيتو الرُّوسي الصِّيني.

وحَتَّى أمريكا ذاتها المسرورة من هٰذا الڤيتو سرور الأعمى إذا رأى ليست هي التي تقف وراء هٰذا الڤيتو.

وليس ما يقدِّمه النِّظام السُّوري لروسيا والصين من مكاسب واستراتيجيا وتجارة وقواعد هو الذي يقف وراء هٰذا الڤيتو.

إنَّ من يقف وراء الفيتو الرُّوسي الصِّيني هو دولتان عربيتان عظيمتان في القدرات السِّياسيَّة والآفاق الاستراتيجيَّة[٢٦].

أظنُّ شبهَ معتقدٍ أنَّ الولايات المتحدة في حالة ارتباكٍ وحرجٍ من عدم تدخُّلها في وضع حدٍّ للأزمة السُّورية، لما ترتب علىٰ ذَلكَ من إهانة للحضور الأمريكي العالمي. تجري في الخفاء عمليات ترقيعٍ هائلةٍ لمنع ظهور الضَّعف الأمريكي حيال الأزمة السُّورية. علىٰ رأسها التَّعتيم الهائل علىٰ الثَّورة السُّورية، وحرف البيانات حَتَّىٰ لا تبدو أنَّ هناك أزمة بهٰذه الخطورة، ولا تظهر سلبيَّة الولايات المتحدة الأمريكيَّة أمام شعبها والشعوب الأخرى.

إنَّ الولايات المتحدة، علىٰ عكس ما يتخيَّل أو يرى الكثيرون، ليس لها مشكلة مع الإسلاميين، أو تغيير الأنظمة العربيَّة بأيِّ طريقةٍ كانت. أقول بأيِّ طريقةٍ كانت. فالولايات المتَّحدة دولةٌ عظمى قادرةٌ علىٰ التأقلم مع أيِّ نظامٍ سياسيٍّ حَتَّىٰ ولو تضمَّن ذَلكَ بعض المشكلات أو الأزمات لها. ولٰكنَّهَا علىٰ أيِّ حالٍ ليست عاجزةً عن استيعاب أيِّ نظامٍ سياسيٍّ بطريقةٍ أو بأخرى، والتَّعامل معه وفق مقتضيات طبيعته هو إذا لم تستطع التعامل معه وفق مقتضيات مصالحها. وما حدث في مصر من تعاملها مع الأخوان المسلمين صورة من ذَلكَ. هي لم تقبل الأخوان المسلمين لأنَّهُم عملاء لها كما يفتري

(٢٦) .كتب لهٰذا المقال في ٢٣/ ٥ / ٢٠١٤م، ونشر في حينه في عدد من مواقع النت وشبكات التواصل الاجتماعي، وفي هٰذه النقطة تحديداً ما يشكل أحد أبرز مفاتيح فهم أسباب العدوان الروسي، أما دوافعه وأسبابه وأهدافه فطبيعة أُخْرَىٰ ستتضح في سياق الفصول التالية.

بعضهم، ولٰكن لأنَّها أمام معطى لا تستطيع إلا التعامل معه. وكذٰلكَ شأن أيِّ نظامٍ سياسيٍّ سينشأ في المنطقة، لا بُدَّ له من الإقرار بأنَّ هناك دولة عظمى لا بُدَّ له أن يتعامل معها.

الذي كسر يد الولايات المتحدة الأمريكيَّة ومنعها من القيام بعمل في الثَّورة السُّورية، إلىٰ جانب عوامل متعددةٍ، هو أنَّ كتلة النظام الإقليميَّ العربيَّ متمثلاً بقطبٍ أساسيٍّ وملحقات، تمارس كلُّ أنواع الضُّغوط علىٰ الولايات المتحدة، وهي قادرة علىٰ ذٰلكَ، من أجل عدم السماح بالتَّغيير الثَّوري في سوريا. ومن ثمَّ الحيلولة دون انتصار الثَّورة السُّورية مهما كلَّف ذٰلكَ من ثمن. وأرواح السُّوريين بهٰذا المعنى لا تزيد عن أرواح الدَّجاج الذي يذبح بالملايين يوميًّا.

ليس السُّوريون إلا دجاجاً عند هٰذه الأنظمة العربيَّة التي تريد القضاء علىٰ ظاهرة الثَّورة العربيَّة، وعلىٰ ظاهرة الدِّيمقراطيَّة العربيَّة. وَلَيَمُتْ ملايين السُّوريين. ما المشكلة؟ هم لا يخسرون شيئاً، ولن يخسروا طالما أنَّهم يلعبون بسوريا والثَّورة والنِّظام من أجل البقاء علىٰ عروشهم. سيخسرون فقط إذا انتصرت الثَّورة. إذا انتصرت الثَّورة فاحتمال خلعهم عن عروشهم كبير. ومصيبتهم في ذٰلكَ مركبة معقدة:

إنَّ انتصار الثَّورة في أوائلها كان سيدعم مسيرة قطار الربيع العربي ليجتاح الدول واحدة تلو الأُخْرَىٰ، ولذٰلك سارعوا من أجل وضع حدٍّ للربيع في دمشق ولا أستبعد أن يكون ذٰلكَ بالتنسيق مع النظام السُّوري نفسه. محاربة الثَّورة ذاتها أنتجت بنية معقدة أكثر وانفجاراً قيميًّا وبركان فوضى صار واقعاً لا يمكن تجاوزه، وكلما تقدَّمت الأزمة السُّورية أكثر زاد تعقيد الفوضى وضاقت آفاق

السَّيطرة عليها وتقلصت قدراتها، بما يعني أنَّ الحريق سيخرج عن السيطرة ويحرق الذين أشعلوه.

ولكن كيف سيسير القطار؟

القطار علىٰ سكتهم من جهة، وعلىٰ سكَّة الثَّورة من جهة، وعلىٰ سكَّة النِّظام من جهة، وعلىٰ سكَّة الفوضى التي لم يحسبوا حسابها من جهة رابعة.

أي سكَّة سيركبها القطار وإلىٰ أين سيسير؟

أترك لفطنتهم إن كانت موجودة أن يشغلوها، ويا ليتهم يضيفوا مُسَرِّعَ احتراق لتأمين ما سيلزم من الوقود.

وهيهات يفهموا آخر جملة.

الفصل الثالث

من ثلج جنيف
إلى صقيع موسكو

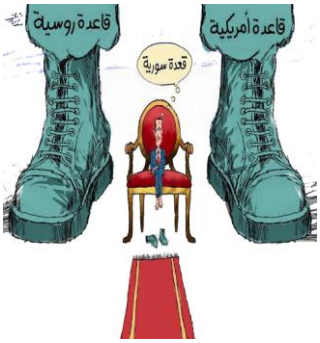
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

يبدو أنَّهُ لا تفاوض مع النِّظام إلا تحت سقف الصَّقيع(٢٧). كانت المفاوضات في جنيف في ذروة الشتاء. ولذلك أتت النتائج متجمدة علىٰ الرَّغْمِ من كلِّ السُّخونة في المفاوضات. وكثر الحديث علىٰ جنيف الثالث علىٰ أمل أن يكون صيفيًّا لعَلَّ الدفئ الجنيفي يثمر عن نتائج دافئة. ولٰكن فجأة قالوا: «ستشرق الشمس من موسكو».

حسناً، وما المانع؟

ولٰكن أيُّ شمسٍ ستشرق من موسكو في ذروة الشتاء الرُّوسي وتصدير العواصف الثلجيَّة القاتلة للشرق؟

نحن، في تصور أوليٍّ، نتوقع أنَّ المجتمع الدولي يصر علىٰ أن تكون النتائج متجمدة دائماً مهما كان مكان أو زمان التفاوض بَيْنَ النِّظام والمعارضة/ الثَّورة. ولذلك انتقل المشروع من صيف جنيف إلىٰ جليد موسكو... يبدو أنَّهُم أدركوا أهميَّة التفاوض بَيْنَ الثَّورة والنِّظام في أجواء الثلج والجليد والبرد الشَّديد.

مهما يكن من أمر لا بُدَّ من التَّساؤل عن الأسباب التي حدت بالمجتمع الدولي إلىٰ تبني مبادرة موسكو والتحول من جنيف إلىٰ موسكو. ويزداد التَّساؤل

(٢٧) .كتب هٰذا المقال في ١/٢٥/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها، وفي العام ذاته نشر في كتابي: الثورة السورية والحلول التهريجية.

حدَّة وأهميَّة في ظلِّ الاستقطاب الكبير بَيْنَ روسيا والغرب علىٰ تبعات الأزمة الأوكرانيَّة، والحصار والاقتصادي الغربي لروسيا، العقوبات الاقتصاديَّة، وحرب النفط والغاز الغربي علىٰ روسيا!!!

كيف يمكن في ظلِّ كلِّ هٰذا الاستقطاب أن يسلم الغرب الملف السوري لموسكو مع ما تعنيه نتائج التفاوض بَيْنَ النِّظام والثَّورة/ المعارضة. من غير المعقول القول بأنَّ النَّتائج لا تعني أمريكا/ إسرائيل والمعسكر الغربي معهم. وإلا لا يمكن فهم ما حدث من الموقف الغربي وخاصة الأمريكي علىٰ مدار ما سبق من الثَّورة من تدخل واختراق وما إلىٰ ذٰلكَ من تحديد مسارات الجيش الحر والمعارك كما يعلم المتابعون جميعاً. قطعاً لدابر التداعيات في ذٰلكَ، لا شك في أنَّ هناك توافقٌ وانسجامٌ بَيْنَ كل هٰذه الأطراف الخارجيَّة علىٰ مصير الثَّورة والنِّظام معاً، ولا يوجد بينهم أيُّ اختلاف كما يبدو للأفهام السَّطحيَّة... كلهم يريد نتيجةً واحدةً، هم يعرفونها ومتوافقون عليها بصيغة أو أُخْرَىٰ، والثَّورة لا تعرف عنها شيئاً للأسف، ولٰكنَّ النِّظام يعرف خطوطها العريضة بالتأكيد، ورُبَّما هناك تنسيق في ذٰلكَ.

ومع ذٰلكَ أتوجه بسؤالٍ غير بريءٍ إلىٰ من يفاوضون النِّظام في موسكو: لماذا لا تفاوضون النِّظام مباشرة في دمشق، لماذا لا يكون التفاوض إلا عن طريق وسيطٍ روسي أو بوسي أو هندوسي أو كما كان عن طريق أمريكا وغيرها؟؟؟؟

أفيدونا من فضلكم؟

طالما أنَّهُ لا يوجد أي ضمانات، والسقف المطروح هو استمرار النِّظام ورُبَّما تقاسم شيءٍ من السُّلطة، فلماذا لا تفاوضون النِّظام مباشرة وهو وأنتم مسرورن؟

إنَّ أيَّ زعمٍ تزعمونه لتسويغ التَّوسيط الخارجي غير مقبول ولا قيمة له، بل ويدل علىٰ جهل وغباء في تقدير الأمور. أمَّا إذا كان من أجل ضمانات روسيَّة وحَتَّىٰ دوليَّة، وهو الزعم الوحيد الذي يمكن قبوله، فإنَّ من يظن أنَّ أحداً يستطيع أن يفرض أيَّ ضمانات علىٰ بشار الأسد فهو واهم ولا يفقه شيئاً من الواقع، ومن ثمَّ فهو غير جدير بأن يكون مفاوضاً. لأنَّ أدنى الشروط التي يجب تحققها في المفاوض هو فهم الطرف الآخر الذي سيفاوضه. ناهيكم عن غيره من الشروط. فكيف يمكن لمن لا يعرف شيئاً عن الطرف الذي سيفاوضه أن يفاوضه؟ هٰذه ليست غباءً وحسب، إنها جريمة مكتملة الأركان.

وحَتَّىٰ يكتمل النقر بالزعرور، مع بدء المفاوضات فوجئنا بتخفيضات بالجملة في مفاوضات موسكو. فقد كان ما يسمى وفد الثَّورة قد طالب بأن يكون وليد المعلم وزير الخارجيَّة ممثلاً للنظام في مفاوضات موسكو، علىٰ أساس أن وليد المعلم يستطيع أن يقرر أو يضمن أي شيء. وهٰذه نقطة بلاهة أُخْرَىٰ تعاني من ما يسمى قيادة الثَّورة السوريَّة، أو المفاوضين باسمها، لا يعرفون شيئاً أبداً عن طبيعة النِّظام السوري وكيفيَّة صنع القرار فيه.

علىٰ أيِّ حال، مع بدء المفاوضات قام النِّظام بتخفيض مستوى التمثيل من وزير الخارجيَّة إلى مندوبه في الأمم المتحدة بشار الجعفري. فانبعجت روسيا وخفضت التمثيل من وزير الخارجيَّة سيرچي لافروف ونطت فوق نائب وزير الخارجيَّة بچدانوف إلى جعل مدير معهد الاستشراق في موسكو رئيساً للوفد الروسي... أمَّا ما يسمَّى وفد الثَّورة فهو منخفض أصلاً إلىٰ ما دون مستوى نائب معاون رئيس بلديَّة.

ومع كل ذَلكَ، وذَلكَ كله، أمريكا والعالم يعوووووولون الكثير علىٰ هٰذه المفاوضات. تخيلوا المشهد جيِّداً: أوطى سقف تفاوضي يتوقَّع الجميعُ منه أعلىٰ النتائج!!!

إمَّا أنَّ سقف تفكير الأنظمة السياسيَّة في العالم منخفضٌ جدًّا، إلىٰ أبعد حدود الانخفاض، وكم هو إذ ذاك سقف العالم منخفض جداً كثيراً كبيراً؟!؟! أو أنَّ هناك ميل إلىٰ استغباء السوريين إلىٰ درجة لا تطاق... ويا لطف الله عندما تعلم أنَّ أصحاب القرار، علىٰ افتراض هم أصحاب قرار، أغبياء إلىٰ الحدِّ الذي يجعلهم يصدقون.

هٰذا كله في كوم، والوفد المفاوض الممثل للثورة في كوم آخر. في مطلع العام الحالي بدا أنَّ روسيا تتصرَّف مع الثَّورة وكأنَّها هي القائد الأعلىٰ للثَّورة السُّوريَّة، فهي التي حددت وتحدِّد من يمثل الثَّورة ومن يفاوض باسم الثَّورة، وهي التي تحدد نسب المشاركين، وهي التي تحدِّد أسماء المدعويين للتَّفاوض مع النِّظام، علىٰ سبيل المثال:

. ثلاث أعضاء من الإئتلاف... أخيرا رفض الإئتلاف المشاركة.

. ثلاث أعضاء من هيئة التنسيق.

. ثلاث أعضاء من أحزاب الجبهة الوطنيَّة.

. ثلاث أعضاء لا أحد يعرف عنهم شيئا.

. ثلاث أعضاء شوارعيَّة، علىٰ أساس ممثلين لرأي الشارع.

. ومن الممكن من أجل التبهير والإثارة أن تضع خمس أعضاء من الحزب الشيوعي السوفيتي الراحل...

وفي الوقت نفسه روسيا هي التي تختار وفد النِّظام وتأمره ماذا يقول وماذا يفعل.

أجاثا كريستي وهوليوووود بكل خيالهم البوليسي عاجزون عن هٰذه التركيبة المدهشة. والطَّريف الطَّريف عندما تعلم أن كل هٰذا الخيال قد تحقق اليوم، ففي سياق خفض السَّقف الذي تحدثنا عنه نجد أنَّ الذين يمثلون الثَّورة لا علاقة لهم بالثَّورة إلىٰ حدٍّ كبير، وهم ممثلون للنظام رُبَّما أكثر من تمثيل النِّظام لنفسه، ولذلك كثرت التَّعليقات السَّاخرة بما يسمى الوفد الممثل للثورة، منها أنَّ النِّظام يفاوض نفسه في موسكو، ومنها: مفاوضات موسكو هي بَيْنَ المخابرات السياسيَّة والمخابرات العسكريَّة... وغير ذٰلكَ من التعليقات.

علىٰ الرَّغْمِ من ذٰلكَ كله فمن المتوقع أن لا تنجح المفاوضات، سيكون من الصعب أن يتفق النِّظام مع نفسه.

انتهت اليوم ٢٠١٥/١/٢٩م المفاوضات بعد تسريبات سابقة بإخفاقها، حَتَّىٰ أوشك لافروف يقول بعدم جداوها، ثمَّ رقَّع في تصريحٍ آخر بتمديدها واحتياجها لوقت طويل وغير ذٰلكَ كثير. وكانت الضَّربة القاضية بالمؤتمر الختامي الذي عقده الجعفري رئيس وفد النِّظام. نفى نفياً قاطعاً وجود أي خلافات علىٰ أي شيء بَيْنَ الفريقين. وأكد توافق الفريقين علىٰ نسف الجنيفين لأن الجماعات التكفيريَّة ظهرت بعدهما، ليؤكد كذب النِّظام بأنه كان يحارب التكفيريين قبل جنيف.

نقطة الخلاف الوحيدة فيما يبدو هي استكمال المفاوضات في دمشق. فمن يسمون ممثلي الثَّورة الذين يعيشون في دمشق يرفضون مفاوضة النِّظام في

دمشق. يريدون أن يكون مثل أعضاء الإئتلاف: كل اجتماع في عاصمة أوروبيَّة.

السؤال المهم الآن هو: علىٰ افتراض نجحت المفاوضات، فماذا يمكن أن تفعل علىٰ الأرض؟

أكرر ما كررته عشرات المرات على مدار سنوات الثَّورة: بشار الأسد هو النِّظام والنِّظام هو بشار الأسد. بشار الأسد لن يقبل بأي حل لا يكون هو فيه المنتصر وسيد القرار.

الفصل الرابع

أخيرا اللعب على المكشوف

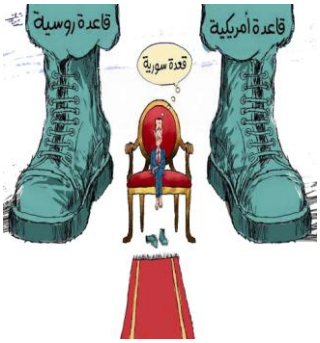
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

لن أعود إلىٰ سابق التَّحليلات والتَّحذيرات منذ بدايات الثَّورة في الكشف عن حقائق مواقف الدُّول وكذبها وخداعها وتضليلها تجاه الثَّورة السُّوريَّة. لن أكرِّر ما قلته سابقاً في عشرات المقالات التي اجتمعت في كتبٍ منها ما صَدَرَ ومنها ما هو في طريقه إلىٰ الصُّدور عن أنَّ المجتمع العربي والدَّولي كلِّه يحاصر الثَّورة ويمنعها من التَّقدُّم، وأنَّ كلَّ قيادات الثَّورة سلَّمت ذقنها لأعداء الثَّورة... لن أكرر لأنَّ التَّكرار يؤلم ولا يذكر(٢٨).

اللعب الآن صار علىٰ المكشوف المفضوح فضحاً لا حدود لها، بل يتجاوز المعقول ويتجاوز المقبول. ومع ذَلكَ ما زالت قيادات الثَّورة المسلحة من أجل حفنة دولارات خاضعة لأعداء الثَّورة. وكل من يقول من أجل الدعم العسكري فهو كاذب وألف كاذب... كله من أجل دولارات يخزنونها في البنوك كما فعل الكثيرون الذين لم نعد نسمع لهم حساً بعدما اشتروا القصور والڤلل واعتزلوا الثَّورة.

نشر نشطاء الثَّورة منذ أيام صوراً لقذائف وأسلحة أمريكيَّة يسقطها النِّظام علىٰ مقاتليه في كفريا والفوعة فسقطت بأيدي بعض كتائب الثَّورة المسلحة

(٢٨) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٥/٨/٣١م، ونشر في الفترة ذاتها في عدد من مواقع التواصل الاجتماعي.

ونشروها ببراءة الأطفال دليلاً علىٰ دعم أمريكا للنِّظام بالسِّلاح. أمريكا تدعم النِّظام بالسِّلاح ومن يدعي غير ذَلكَ فهو واهم. أمريكا لم تكتفي بدعم النِّظام وحمايته من السُّقوط بالأساليب والوسائل الكثيرة التي يعرفها الكثيرون من تحجيم الثَّورة المسلحة ومنع السِّلاح عنها وتكبيل تقدم القوى الثَّورية المسلحة... بل هي تمدُّ السِّلاح بالذَّخيرة والأسلحة.

قد لا يكون النِّظام بحاجة لهذه الأسلحة والذخائر، ولَكنَّهَا في حقيقة الأمر ضروريَّة لرفع الروح المعنوية لجنود النِّظام وأنصاره بأنَّ أمريكا جادَّة في حماية النِّظام السُّوري ومنع سقوطه مهما كلَّفها الأمر من ثمن، حَتَّىٰ ولو كان فضيحة علىٰ غرار إيران چيت عندما كانت تزود إيران بالأسلحة في مواجهة العراق.

التَّزويد بالسِّلاح قد يكون مباشرة وقد يكون غير مباشرة كما كان في إيران چيت إذ إنَّ إسرائيل هي التي كانت الوسيط بَيْنَ أمريكا وإيران. هٰذه حقائق تاريخها لا يحق لأحد الشك فيها. أما من هو الوسيط هنا فلا أدري، ولن يكون غريباً ولن يكون عجيباً، وسينكشف قريباً قريباً. وأضيف أنَّ التمويل ليس إيرانيًّا ولا روسيًّا وأمريكا لن تقدم الأسلحة مجاناً. الدول التي دفعت لروسيا ثمن صفقات الأسلحة التي يرسلها للنِّظام هي التي تفعل ذَلكَ ورُبَّما تكون هي الوسيط ورُبَّما عن طريق وسطاء آخرين.

ويكتمل النقر بالزعرور في آخر فضيحة.

نحن نعلم أن إيران تقاتل إلىٰ جانب النِّظام ولا جديد لدينا وإن كانت تحاول الكذب وزعم المزاعم. ونعلم أن روسيا مع النِّظام قلباً وقالباً وفي العلن لا في السر، وتقوم بتوريد الأسلحة له جهاراً نهاراً علىٰ

الـرَّغْمِ مـن الحظـر الأممـي علـىٰ توريـد السِّـلاح إلىٰ سـوريا، وعلـىٰ مـرأى مـن العـالم ومـن دون أي اعـتراض، علمـاً أنَّـهُ قبـل الثَّـورة لم تكـن تصـل قطعـة سـلاح إلىٰ سـوريا مـن روسـيا ولا مـن غيرهـا بسـبب الرقابـة الدوليـة الصـارمة علـىٰ توريـد الأسـلحة إلىٰ سـوريا. كانـت رقابـة فقـط لا قـرارات حظـر، ومـع ذَلـكَ لم يكـن يسـمح حينهـا بوصـول طـائرةٍ أو سـفينةِ أسـلحةٍ إلىٰ سـوريا إلا وتصـادر. ومـع الثَّـورة صـدرت قـرارات حظـر فصـار توريـد السِّـلاح لسـوريا علنـاً جهـاراً نهـاراً مـن إيـران وروسـيا ولا أحـد يعـترض، نـاهيكم عمـا سـبق الكـلام فيـه مـن أنَّ أمريكـا ذاتهـا فتحـت بوابتهـا لتصـدير الأسـلحة إلىٰ سوريا.

المهم هنا أن ما سبق هٰذا بات لا شيء أمام التَّسريبات الأخيرة التي لا تستبعد صحتها علىٰ الإطلاق. وسنبين ذَلكَ.

قال المحلل العسكري الإسرائيلي أليكس فيشمان في المقال الافتتاحي لصحيفة يديعوت أحرونوت الاثنين ٢٠١٥/٨/٣١م: «إنَّ روسيا وإيران، وبموافقة من الولايات المتحدة، اتَّخذتا قراراً استراتيجيًّا للقتال إلىٰ جانب الأسد لإنقاذه».

أحمد مصطفى ترجم المقال وكتب عنه في (عربي ٢١)، وعليه اعتمدنا في هٰذه المعلومات. تابع فيشمان بأنَّ «سلاح الجو الروسي قد بدأ يحلق فعلاً في سماء سوريا، وأن المقاتلات الروسية ستشن خلال الأيام القريبة القادمة غارات علىٰ مواقع لتنظيم الدَّولة، وكتائب إسلامية معارضة للأسد».

ونقـلاً عـن دبلوماسـيين غـربيين، «يؤكـد فيشـمان وصـول قطـار جـوي روسـي إلىٰ مطـار في دمشـق، فيمـا سيصـل الأسـبوع القـادم آلاف المقـاتلين

الـروس؛ بمـا فـيهم مستشـارون ومرشـدون وفنيـون، إلىٰ جانـب رجـال الـدعم اللوجستي والفني».

في المقال تفاصيل أُخْرَىٰ صغيرة وكبيرة تدور في فلك هٰذا التقديم، ويختم فيشمان بقوله: «هكذا يبنى تحالف روسي إيراني إلىٰ جانب التَّحالف الأمريكي وحلفائهم ضدَّ داعش. وعلىٰ الطَّريق أصبحت إيران محورا مركزيًّا في نظر القوى العظمى لحل أمراض الشرق الأوسط كلها».

الحقيقـة الـتي يجـب أن نـدركها مـن هٰـذا التَّسـريب الـذي لا يمكـن عـدُّه تسـريباً في حقيقـة الأمـر أن الموضـوع جـديٌّ في المبـدأ وحقيقـيٌّ ولـيس وهمـاً ولا افتئاتـاً علـىٰ الإطـلاق. الخـبراء الـروس والاسـتخبارات الروسـية لم تغـب عـن السـاحة السُّـوريَّة في تعامـل النِّظـام مـع الثَّـورة السُّـوريَّة. ولا شـيء بالمجـان بكـل تأكيـد، كلـه مـدفوع الـثمن مـن أصـدقاء النِّظـام السُّـوري الـذين هـم أصدقاء الشُّعب السُّوري انفسهم.

الجديد في الأمر هو الدخول القتالي الرَّسمي النِّظامي دفاعاً عن النِّظام وإن كان يتم تصويره علىٰ أنَّهُ لمحاربة الدولة الإسلامية. إذا كانت أمريكا ذاتها تعلن بالمفضوح أنَّها تدرب جيشاً لمحاربة داعش ولا يحق له الاقتراب من النِّظام ولا محاربه وأبلغت النِّظام به وبنظام عمله... فهل سيكون الدور الروسي والإيراني بعيداً عن ذَلكَ في المبدأ؟! إذا كانت إيران وروسيا علىٰ أرض المعركة مع النِّظام ضد الثَّورة منذ سنوات فهل سيكون دخول المعركة رسميًّا بعيداً عن الهدف الأساسي لهم وهو الدفاع عن النِّظام؟

المسـألة الأساسـية الـتي يجـب أن ننتبـه لهـا هنـا هـي أنَّ هٰـذا المقـال وهٰـذا التَّسـريب قـد يكـون يهـدف إلىٰ إحبـاط الـروح المعنويـة للقـوى الثَّوريَّـة

السُّوريَّة المسلحة بمختلف مسمياتها. الأمر واردٌ جدًّا على الرَّغْمِ من كون معظم قيادات التَّشكيلات خاضعة للإملاءات الإقليميَّة بإدارتها الأمريكيَّة، أي الرُّوسيَّة أيضاً من جانب آخر. ولٰكنَّ هٰذه التَّبعيَّة لا تعني استسلامهم، لأنَّهُم لا يفكرون بغوغائيَّة، ولا يتركون الأمور للظُّروف والأهواء كما تفعل قيادات الثَّورة المسلَّحَة. إنَّهُم يدركون جيِّداً أنَّهُ يمكن أن يموت هٰذا أو ذاك، أو ينقلب عليه أصحابه، ولذلك لا يستسلمون للظروف، ويريدون إنجاز القضاء على الثَّورة بأسرع وقت، والتفرغ لمحاربة الدولة الإسلاميَّة بالمقدَّرات كلِّها، لأنَّهَا إذا سقطت الثَّورَة السُّوريَّة وانتصر النِّظام ستكون محصورةً أكثر والحرب عليها أسهل.

عوداً على بدء، نحن لسنا بحاجة إلى تسريبات للإيمان بهٰذه الحقيقة التي نراها على أرض الواقع السُّوري بوضوح لا لبس فيه. ولا يوجد فيها من غريب أو عجيب سوى ما قد يظن بعضهم بأنَّهُ دخولٌ رسميٌّ لروسيا على أرض المعركة، أمَّا إيران فهي موجودة منذ البداية ولم تغب أبداً عن ساحة المعركة لا إمداداً بالمال ولا بالسِّلاح ولا بالجند.

وفي الوقت ذاته روسيا أيضاً موجودة على أرض المعركة بمعنى أو بآخر، وبقوة لا بضآلة. ولٰكن هل سترسل روسيا جنودها وفيالقها لمباشرة معارك بريَّة مع تشكيلات الثَّورة؟

الموافقة الأمريكية على ذٰلكَ صريحة في مقال فيشمان، ولٰكنَّ التَّردُّد الأمريكي في الموافقة العلنية، إن وجد، فسيكون ناجماً عن تعقيدات الموقف التي تتحسب لها الولايات المتحدة ليس أكثر. وحَتَّى الروس أنفسهم الذين عقدوا الصفقة مع النظام، رُبَّما برعاية عربيَّة ما، سيقفون أمام هٰذه التَّعقيدات التي تؤكِّد

تفجر الأوضاع في المنطقة وليس فقط القضاء علىٰ الثَّورة، وهو أمر لن يتم في أغلب التَّقدير. ويظلُّ الأمر غير مستبعد في حقيقة الأمر. ولٰكنَّ السُّؤال الذي سيبرز ذا شقين:

ماذا سيفعل الطيران الروسي أكثر من الطيران السُّوري علىٰ أرض المعركة؟

وإذا نزل الجيش الروسي إلىٰ أرض المعركة فماذا سيكون نصيبه أكثر من غيره من الجيوش المرتزقة الأُخْرَىٰ التي تعود بالتَّوابيت إلىٰ بلدانها أو تبقى مكانها وتأكلها الحيوانات والحشرات؟!

الجيش الروسي مثله مثل غيره بشر، ومثل غيره من المرتزقة يقاتلون في أرض غير أرضهم، ومعركة ليست معركتهم، ومن سيقف أمامهم أصحاب حقٍّ وقضية.

أما الطيران الروسي فلن يفعل أكثر مما فعل النِّظام السُّوري، هٰذا إذا وجد ما يدمره في سوريا. ويظل الحسم للأرض... ولا توجد قوة في الأرض تقهر أصحاب الأرض وإن طال الزمان. بل إن الموقف الروسي والإيراني سيكون حرجاً للغاية لسببٍ أساسيٍّ واحدٍ علىٰ الأقل هو أنَّهُم يتدخلون في محاربة شعب مشتعل أصلاً، لم يؤخذ علىٰ حين غرة ليجد بلده محتلاً ويبدأ بتأسيس نفسه للمقاومة.

حقيقتان أختم بهما هٰذا المقال:

الأولى هي أنَّ هٰذه التَّسريبات والأخبار إن صدقت وإن كذبت تؤكِّد حقيقةً واحدةً أساسيَّةً وهي أنَّهُ لم يعد لدى النِّظام السُّوري أيُّ قدرةٍ دفاعيَّةٍ ولا هجوميّةٍ ولا صموداً ولا تصديًّا، ولم يعد لديه أي قدرة علىٰ البقاء... والمجتمع الدولي بمختلف تشكيلاته وانتماءاته وولاءاته

ومنها إسرائيل مستميتة على الدِّفاع عن هٰذا النِّظام وعدم السَّماح له بالسُّقوط سواء أبالحرب النَّفسيَّة أم الشَّائعات أم بالتَّدخل المباشر. وكل من يتخيَّل أن أمريكا أو إسرائيل أو الأنظمة العربيَّة عامَّةً تريد أو تقبل أو تسمح بسقوط الأسد أو انتصار الثَّورة فهو واهمٌ وأكَلَ الخرف رأسه من الخارج والدَّاخل. وأيُّ سوريٍّ مع الثَّورة يؤمن أو ينتظر أيَّ مساعدةٍ أو مددٍ أو دعمٍ من هؤلاء فهو إمَّا غبيٌّ أو مخبول.

الثَّانية هي أنَّ أي تدخل أجنبي في الدِّفاع عن النِّظام لا يعني إلا مزيداً من تفجر الأوضاع وتفاقمها وتعقيدها. هي أصلاً الآن معقدة إلىٰ درجة يكاد يتعذر حلها، فكيف إذا زادت تعقيداً وتفجراً؟

أكثر ما فاقم الأوضاع في سوريا وساهم في جلب المقاتلين غير السُّوريين إلىٰ سوريا هو وجود مقاتلين أجانب إلىٰ جانب النِّظام منذ بداية الثَّورة. منذ بداية الثَّورة دار الحديث عن أجانب، عن غير سوريين، يشاركون في اقتحام بيوت النَّاس، قبل ظهور الجيش الحر حَتَّىٰ. هٰذا الأمر أجج السُّوريين أنفسهم بالدرجة الأولى، وحرَّض غير السُّوريين علىٰ الدخول إلىٰ سوريا للدِّفاع عن السُّوريين، تحت أي شعار لا يعنيني، ولٰكن هو أحد أبرز دوافع تقاطر المقاتلين الأجانب إلىٰ سوريا للدِّفاع عن السُّوريين الذين بدوا عزَّلا في مواجهة آلة حربٍ كبيرةٍ وتكالب أطرافٍ إقليميَّةٍ عليهم.

هٰذه هي الحقيقة التي لا يريد أحد الاعتراف بها. لماذا لم يذهب مقاتلون أجانب إلىٰ تونس ومصر في ثورتهم، ولا إلىٰ ليبيا في ثورتها المسلحة الطويلة مع القذافي، ولا إلىٰ اليمن بثورتها الطَّويلة ضدَّ صالح...؟؟؟ لماذا حصراً إلىٰ سوريا والعراق؟

نحن لن نقول ستتحطَّم جحافل الجيوش الأجنبية على أرض سوريا. سنقول لهم يمكن أن تدمروا أكثر مما هو مدمر حَتَّىٰ الآن، ويمكن أن تقتلوا أكثر مما تم قتله حَتَّىٰ الآن، ويمكن الآن تشردوا أكثر مما تشرَّد حَتَّىٰ الآن... ولٰكن في النهاية ستدفعون الثمن. تحصد مما تزرع. كل ما كان في تاريخ الشعوب القديمة لا معنى له اليوم أمام التوثيق الذي لا ينسى.

الفصل الخامس

التدخل الروسي
بين الموقفين العربي والدولي

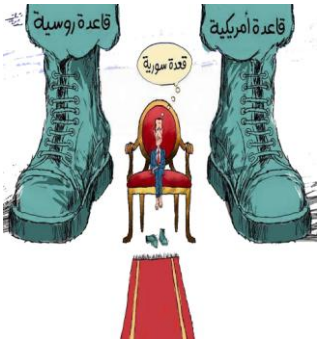
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

حقيقة لا أعرف من أين أبدأ الكلام في الموقف الدولي والعربي من العدوان الروسي. لا أعرف من أبدأ لأن مداخل الكلام كثيرة متزاحمة علىٰ الصَّدارة للأهميَّة والخطورة(٢٩).

إذا كان التدخل الروسي قد أثار مفارقات مضحكة ومدهشة علىٰ الصعيد السوري، فقد أثار مثلها تقريباً أيضاً علىٰ صعيد الموقف الدولي والعربي الرسمي والشعبي. نحن لا يعنينا رصد المفارقات بما مضحكات ولٰكنَّهَا تنتصب في وجهنا فى الرَّغْمِ من منَّا بوصفها الموقف العربي الشعبي والرسمي وبوصفها الموقف الرسمي الدولي.

إذن الموقف من العدوان الروسي هو المفارقة، هو المضحك، نحن لا نبحث عن الضحك، ولا عن المفارقات. ولٰكن هو كذٰلكَ أمر الموقف العربي والدولي.

لن نحتاج إلىٰ كثير من المناهج والتصنيفات لمعالجة هٰذا الموقف، الأمر سهل واضح لا لبس فيه ولا أسرار، وهٰذا وحده طرفة ومفارقة عجيبة في ظل معطيات الواقع السوري. وفي استمرارية المهازل السورية الرسمية في التعاطي مع العدوان الروسي، نجد أوَّل ما نجد أن فلاديمير بوتين الشيوعي الأصيل المؤصل قد صار آية من آيات الله علىٰ منبر

(٢٩) .كتب هٰذا المقال في ٢/١٠/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها في مقالين الأول للمفارقات المضحكة والثاني للموقف الدولي والعربي من العدوان الروسي.

الجامعة الأموي بدمشق. وكاد يقول الخطيب علىٰ المنبر الأمويِّ إنَّ آية الله الشِّيوعي فلاديمير أبو علي بوتين هو وليُّ الله ومجدِّد الإسلام وقاهر الكفار والمشركين.

العراقيون تجاوزا شيخ الأموي كثيراً عندما جعلوا آية الله فلادمير أبو علي بوتين وعد الله منذ ألف وأربعمئة سنة، فقد أطلق العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا إلى جانب نظام بشار الأسد حملة شيعيَّة كبيرةً لمناصرة الرئيس فلاديمير بوتين، إذ تتداول صفحات علىٰ مواقع التواصل الاجتماعي أنَّ بوتين يمتدُّ بالنسب إلىٰ محاربٍ نصرانيٍّ قاتلَ مع الحسين في كربلاء ضدَّ جيش يزيد سنة ٦١ للهجرة.

ذكرني ذلك بالحمار المبارك ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابن... ابن الحمار الذي ركبه مقاتل مع الحسين رضي الله عنه في زمن نوح عليه السلام... وقد شاهدنا في مقطع فيديو حصاناً يتبركون لسبب من هٰذا القبيل.

علىٰ أيِّ حال، لن نطيل، سنقف عند ثلاثة مشاهد خاطفة هي الموقف العربي والموقف الإسرائيلي والموقف الدولي. وإذا شئنا الاختصار قلنا:

روسيا تبدأ عملياها العسكرية في سوريا بإذن من البنتاچون

وتبدأ بإبادة المدنيين في حمص

والعرب صامتون

والمسلمون صامتون

والسُّوريون أغبياء أغبياء أغبياء

لأن الحقيقة التي يجب أن ندركها ولم ندركها حَتَّىٰ الآن وقد كرَّرت هٰذا التَّحذير منذ بداية الثَّورة مئات المرات: أمريكا لا تريد الثَّورة أن تنتصر، الدول العربية لن تسمح بانتصار الثَّورة... ومع ذٰلكَ من أجل الدولار وعُقَدِ الزَّعامة سلموا رقابنا ومصيرنا لأعداء الثَّورة وأعداء سوريا، اللهم انتقم منهم أجمعين.

الموقف العربي

يستغرب الكثيرون من الموقف العربي من العدوان الروسي علىٰ سوريا والشعب السوري. ولٰكنَّ الأمر ليس بجديد عند المتابعين والمهتمين.

جرياً علىٰ الاستغراب من الدهشة من الموقف العربي الرسمي والشعبي السلبي بل السيئ جدًّا جدًّا تجاه العدوان الروسي علىٰ سوريا نقول: حَتَّىٰ الآن لم تصدر من المستويين الرسمي والشعبي أيُّ إدانةٍ ولا حَتَّىٰ اعتراض ولا حَتَّىٰ موقف من العدوان الروسي علىٰ سوريا والشعب السوري. هٰذا علىٰ افتراض أنَّ العدوان الروسي علىٰ سوريا والشعب السوري هو فقط منذ نحو شهر كما يبدو ظاهر الأمر، فيما هو منذ بدايات الثورة قائم علىٰ قدم وساق وعلىٰ مختلف المستويات منها العلني علىٰ منبر الأمم المتحدة، وتقديم السلاح بسخاء منقطع النظير في تاريخ العلاقات السورية الروسية/ السوفيتية، ومنها السري في المشاركة في القتال والتجسس الرصد الاستخباري... ومع ذٰلكَ كله مما لا يخفى علىٰ السياسيين خاصَّة لم نسمع كلمة شجب ولا إدانة ولا اعتراض، بل وجدناً تصاعد العلاقات السياسية والتجارية بَيْنَ الدول العربية وروسيا علىٰ نحو غير مسبوق ومن دول لم تقم بينها وبين روسيا علاقة قبل الثورة السورية.

بل من عجائب هٰذه الأيام أنَّ أبواق النظام المصري خربوا الدنيا وهم يطالبون الجيش المصري بالقتال إلىٰ جانب إسرائيل ضدَّ حماس وغزة لنفاجأ بأخبار تقول إنَّ الجيش المصري يقاتل مع نظام الأسد ضد الشعب السوري!!!

وعاصفة الحزم التي ما فتئوا يروجون لها منذ نحو سنة تحت هٰذا الاسم، وبأسماء أُخْرَىٰ منذ أكثر من ثلاث سنوات قد دبت فيها الحياة مع التدخل الروسي ولٰكنَّ رُبَّما تحت الغطاء الروسي!!! كيف ولماذا وبماذا؟! لا أحد يدري.

وفي الإطار ذاته منذ أربع سنوات وهم يروجون لاضطرار الجيش الأردني الدُّخول إلىٰ المنطقة الجنوبيَّة. الآن اتسعت الجبهة وسيصل الجيش الأردني إلىٰ دمشق!! يعني عدم المؤاخذة الجيش الأردني كله لا يكفي لتغطية نصف درعا فكيف سيصل إلىٰ دمشق؟!

إلا إذا كان الجيش الأردني هو الواجهة والحشو هو الجيش الإسرائيلي والأمريكي؟

ومع ذٰلكَ كله ما زال السوريين يناشدون العرب التدخل. لم يقتنعوا حَتَّىٰ الآن بأنَّ بعض العرب يموِّلون العدوان الروسي والآخرون فرحون وقليل من العرب مثلنا متألمون.

الحقيقة التي يجب أن تكون حاضرة في الأذهان هي أن هناك تسريبات وقرائن واستنتاجات تؤكد تأكيداً شبه قطعي بأنَّ التَّدخُّل بل العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا والشعب السوري هو بطلب عربي وتمويل عربي.

العرب طلبوا من أمريكا احتلال العراق ودفعوا تكاليف السلاح الذي قتل به العراقيون والعرب طلبوا من روسيا احتلال سوريا للقضاء على الثَّورة ودفعوا ثمن السلاح الذي يقتل به السُّوريون.

ولا غرابة في ظل ذَلكَ أن يخرج أبواق الأنظمة ليطبلوا لهذا العدوان ويرونه ضرورة شرعية، ضرورة سياسية وغير ذَلكَ فقد «أكَّد اللواء علاء عز الدين الخبير العسكري، أنَّ تدخل روسيا في سوريا يمنع تفتت المنطقة العربية ويقضي على أطماع أمريكا في السيطرة على المنطقة بأكملها». وقال: «إنَّ روسيا تعمل على إبقاء وحدة سوريا». وأكد بغباء وفبركة البلهاء ما يعلم الجميع كذبه «أنَّ الضربات التي وجهتها روسيا في سوريا كانت محدودة، ولَكنَّهَا أتت بنتائج مبهرة ونجحت في توجيه ضربات لتنظيم داعش أفضل من التي وجهها التَّحالف الدولي خلال الفترة الماضية»(٣٠). فلا أحد يجهل أن روسيا غير معنية بداعش لأنَّ التَّحالف الدولي يتولى أمرها وإنما روسيا معنية بالثورة السورية فقط، وكل الضربات علىٰ المدنيين، ولاقت روسيا حَتَّىٰ الآن خسائر يندى لها الجبين.

الموقف الأمريكي والدولي

الموقف الأمريكي محير ومربك للكثيرين من المتابعين، في وافقت علىٰ العدوان وتعترض علىٰ العدوان، وتنسق معها موسكو ولا ترى جدوى من العملية، وتدافع عن الشعب السوري ولا تستطيع حماية الجيش السوري الحر الذي تدعمه. يعني أنت أمام (دويخة).

(٣٠) . مي حماد: خبير عسكري: تدخل روسيا في سوريا يحمي المنطقة من التفتت . موقع إضاءة . السبت ٢٠١٥/١٠/٣م.

بعضهم يقول: إنَّ أمريكا تدير الوضع في سوريا عن بعد بخبث شديد، هي تريد توريط الآخرين وهي تفرك يديها فرحاً وتكتفي بتحطم الآخرين في هٰذه الورطات... ألم يقل باراك أوباما قبل أسبوع تقريباً: «إنَّ روسيا وإيران ستغرقان في المستنقع السُّوري لفترة طويلة؟».

رُبَّما تريد أمريكا ذٰلكَ فعلاً، وما المانع وهي تحطم الجميع من دون أن تخسر شيئاً بل من دون أن ترفع رجلها عن رجلها. ولٰكنَّ أمريكا تكون حمقاء إذا لم تدرك أن النار التي ستصيبها في محصلة الأمر ستكون أكثر من الجميع.

وعلىٰ أي حالٍ، في إطار الموقف الأمريكي يجب أن نتذكر أنَّ العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا والشَّعب السُّوري كان مباشرة بعد لقاء بوتين أوباما في الأمم المتحدة. الذين يلعبون علىٰ الحبال الخمسة يقولون: «هٰذا يعني أن بوتين إمَّا تحدَّى أمريكا أو أنَّهُ حصل علىٰ مباركة من أوباما قبل بدء العدوان». والحقيقة أن مباركة أمريكا للعدوان وتنسيقها بشأنه قبل أكثر من شهر من العدوان وقد كتبنا في حينه عما نشره المحلل العسكري الإسرائيلي أليكس فيشمان في المقال الافتتاحي لصحيفة يديعوت أحرونوت الاثنين ٢٠١٥/٨/٣١م: «إنَّ روسيا وإيران، وبموافقة من الولايات المتحدة، اتَّخذتا قراراً استراتيجيًّا للقتال إلىٰ جانب الأسد لإنقاذه». وبعد بدء العدوان قال جون كيري إنَّ الضَّربات تتم بالتنسيق مع أمريكا. وأمس الجمعة ٢٠١٥/١٠/٩م ناقش لافروف وكيري هٰذا التنسيق من جديد، والطريف أن مواقع النظام وإيران أضافتا إلىٰ هٰذا التنسيق أنَّهُما ناقشا «تجنب حوادث الطيران الحربي في الفضاء

الجوي السوري وتنسيق الأعمال في مواجهة داعش وغيرها من جماعات إرهابيَّة»[٣١].

قبل هٰذا اللقاء الهاتفي التنسيقي بيوم واحد فقط أي في ٢٠١٥/١٠/٨م أعلن وزير الدفاع الأمريكي في ٢٠١٥/١٠/٨م قائلاً: «لن نتعاون مع موسكو عسكريا بشأن سوريا لأن إستراتجيتها هناك معيبة بشكل مأساوي». علىٰ أساس أنَّ السياسة الأمريكية في سوريا ترفع الرأس وتشرشر الشرف شرشرة...

وقبل هٰذا التنسيق بأيام أيضاً، في ٢٠١٥/١٠/٦م صدر تصريح متنوع التناقضات من اللفتنانت كولونيل ميشيل بالدانزا الناطقة باسم وزارة الدفاع الأمريكية ما بَيْنَ رفض تنسيق وضرورة تنسيق[٣٢]. كان العنوان الرئيس للتصريح رفض التنسيق لأن روسيا تستهدف المعارضين المعتدلين، علىٰ أساس أنَّها لا تعرف فيما قبل. بل الأطرف من ذٰلكَ في الوقت ذاته يعلن البنتاچون قائلاً: «لانستطيع حماية المعارضة من القصف الرُّوسي...»، ليعلق السوريون بأنها تستطيع فقط منع وصول السلاح للسوريين. وبهٰذا المعنى عندما تقول أمريكا لروسيا: «الضربات الجوية في سوريا غير مجدية» فهي لا تطلب إيقاف الضربات الجوية بل تطالب روسيا بتعزيز التَّدخُّل الجوي بتدخل بري ساحق من فيالق الرُّوس.

---

(٣١) . موقع قناة العالم (الإيرانية): لافروف وكيري يبحثان تنسيق الأعمال في مواجهة الإرهاب . موقع قناة العالم . الجمعة ٢٠١٥/١٠/٩م.

(٣٢) . موقع فلسطين الحرة: البنتاجون؛ لن ننسق بالضربات الروسية في سوريا لأنها تستهدف المعتدلين . الثلاثاء ٢٠١٥/١٠/٦م.

موقف الأمم المتحدة

في ٢٠١٥/٧/١٠م أعلن المتحدث الرسمي باسم الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون «أنَّ الغارات الروسية في سوريا تتم بطلب من الحكومة السورية، والأمم المتحدة أحيطت علماً بها»(٣٣). أي إنَّ الأمم المتحدة تبارك هٰذا العدوان، وتعده شرعيًّا لأنَّهُ جاء بناء علىٰ طلب النظام السوري، وكأنها لا تعرف ماذا يحدث في سوريا وهي التي اجتمعت مئات الاجتماعات لإدانة وتجريم النظام السوري...

من الصعوبة بمكان الحديث عن موقف الأمم المتحدة بمعزل عن الموقف الأمريكي تحديداً، وبقية الدول الدائمة مثل الآخرين نائمة إلىٰ حدٍّ كبير.

كل سنة تنعقد الهيئة العمومية للأمم المتحدة... ونحو ثلاثين سنة مضت من متابعتي لاجتماعات الهيئة العمومية لم أشهد أبداً تزاحم الرؤساء والملوك علىٰ اجتماعات الهيئة إلا في السنوات الثلاث المنصرمة، بالصرامي صاروا يحضرون الاجتماعات بسبب الثَّورة السُّورية.

سيقول قائل: وما دخل الثَّورة السُّورية؟

أقول: هاتوا تفسيراً آخر ممتداً علىٰ مدار السنوات الثلاث الماضية غير الثَّورة السُّورية. وماذا يناقشون؟

في ظل ذٰلكَ كله، تزاحم الرؤساء والملوك، وفي ظل مأساة لم يشهد التاريخ لنا نظيراً، مهمة مجلس الأمن الدولي، بل مجلس أمن اللواط الدولي، وبكلِّ صفاقة

---

(٣٣) . أوردت ذٰلكَ مختلف وسائل الإعلام العالمية والعربية، انظر علىٰ سبيل المثال: الأمم المتحدة؛ التدخل الروسي بدمشق تم بناء بطلب من الحكومة السورية . موقع بوابة العاصمة الثلاثاء ٢٠١٥/١٠/٦م.

وحقارة ووقاحة وعهر هي أن يقلق ويدين ويشجب ويستنكر عنصرية وقساوة الدولة الاسلامة بحق اللواطيين... وفي الوقت ذاته يؤيد ويشجع ويبارك قتل الأبرياء الأسوياء من الأطفال والرجال والنساء في سوريا والعراق وميانمار واليمن ومصر وليبيا...

الموقف الإسرائيلي

في مشهد مناقض للدبلوماسية والأعراف والتقاليد دخل آية الله فلاديمير أبو علي بوتين علىٰ نتن ياهو، لم يتزحزح نتن ياهو عن جلسته، ولم ينزل رجلاً عن رجل، وانحنى آية الله أبو علي بوتين إليه ليصافحه.

كان ذَلكَ غالباً في زيارة نتن ياهو لروسيا عقب بدء العدوان ال روسي علىٰ سوريا والشعب السوري. هٰذه الزيارة التي أعلن عنها أنَّها تنسيقية بشأن العدوان الروسي علىٰ سوريا. وهنا النكتة المفارقة. النظام وإيران وحزب الله يقولون إن روسيا قادمة لقتال عملاء إسرائيل، وإسرائيل تنسق مع روسيا لقتل عملاء إسرائيل!!!

كيف يمكن إعرابها؟ وأين يمكن صرفها؟

خاتمة

سكت الكلام عن الكلام

لا لعجزه

بل لأن الضمير نام

ولأن العقل تحت الزبالة حطام

أيها الإنسان اليوم

إذا أردت أن ترى كيف تنفجر بلاليع المراحيض فقل: أنا مع الثَّورة السُّورية

وللذكرى أكرر:

يبدو أن المخطط العالمي الآن هو تصفية الثَّورة وتشكيلاتها العسكرية بالقضاء عليها أو إلزامها بالانضواء تحت جيش النِّظام، وحصر القتال والصراع بَيْنَ طرفين هما: الدولة الإسلامية من جهة والنِّظام ومن انضم إليه من الجيش الحر من جهة ثانية. وهٰذا ما قلته في مقابلة تلفزيونية نحو عامين أو أكثر قليلاً. ومن ثمَّ فإن المسألة ليست مسألة تدخل روسي، وهل وقف الأمر علىٰ روسيا، رُبَّما لم يبق دولة في العالم لم تتدخل في سوريا.

ولٰكنَّ مواقف البشر والدول تدفعني كثيراً للتساؤل الذي أتساءله منذ فترة: من الذي يلعب بعقل من؟ إبليس يلعب بعقل البني آدم أم البني آدم يلعب بعقل إبليس؟

كثيراً ما أحسب أن البني آدم أسوأ من إبليس.

الفصل السادس

مفارقات التدخل الروسي المضحكة

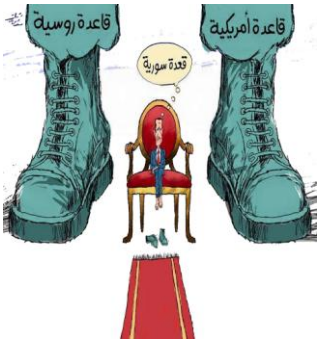
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

بعد أن قررت روسيا التَّدخُّل العسكري الجوي والبري وقف برميل المعلم(٣٤) ليدلي بتصريح يقول فيه: «إذا وجدت سوريا حاجة لمساعدة أصدقائنا الرُّوس فسنفعل». على أساس أنَّهُ يعطي شرعية للتدخل الرُّوسي في سوريا. وأن التَّدخُّل الرُّوسي شرعيٌّ ومحبوبٌ ومحبَّذٌ ومرغوبٌ فيه... وعلىٰ أساس أنَّهُ ليس خرقاً للسَّيادة السُّوريَّة وليس اعتداءاً عليها. وعلىٰ أساس أن سيادة النِّظام السُّوري لا يريد أن يسبِّب حرجاً للروس في التَّدخُّل في سوريا، وكأن الرُّوس خجلون أو خائفون أو محرجون من التَّدخُّل في سوريا!!! (٣٥)

مَثَلَهُ في ذَلكَ مَثَلَ الذي يذهب للحج والحجيج عائدون من الحج. روسيا قررت ولا تنتظر الطلب من وليد المعلم ولا من بشار الأسد ذاته. والقرار بموافقة أمريكيَّة إسرائيليَّة ومعطيات أُخْرَىٰ سنأتي عليها

(٣٤) . برميل المعلم أي وليد المعلم وزير الخارجية السورية وإنما سموه ببرميل المعلم لوجه الشبه بينهما من ناحية الحجم والتدوير.

(٣٥) .كتب لهذا المقال في ٤/١٠/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

هٰذا يوحي وكأن روسيا هي أول من سيتدخل في سوريا وآخر من سيتدخل، في حين أنَّهُ رُبَّما لم تبق دولة في العالم لا تتدخل في سوريا بما فيها جزر الواق واق ويق التي لا تظهر «چوچل إرث» من صغر حجمها.

من المؤكد أن التَّدخُّل الرُّوسي السَّافر هٰذا أمرٌ جلل، وسيترتب عليه الكثير من النتائج الخطيرة، ولٰكن من الطَّريف إثارة ضجَّةٍ حول هٰذا التَّدخُّل في حين أنَّ روسيا لم تتوقف عن التَّدخُّل فيما مضى، وفي الوقت ذاته هناك عشرات الدول التي تتدخل في سوريا بوضوح وصراحة مدهشتين.

من الطَّرافة بمكان بداية أنَّ روسيا اليوم تكمل مشوار أصدقاء الثورة السُّورية في قصف قوى الثورة السُّورية والقضاء عليها، فكل الدول التي اتَّهمها النِّظام السُّوري بأنَّها تتآمر علىٰ سوريا تقوم بشن غارات جويَّةٍ منذ نحو السنة علىٰ قوى الثورة المسلحة (المعتدلة كما يسمونها هم)، وكان هٰذا منذ سنة تقريباً باعتراف وزير الدِّفاع الأمريكي ذاته تشاك هيچل الذي استقال إثر هٰذه التَّصريحات، وكذٰلكَ روبرت فورد السَّفير الأمريكي السابق في سوريا، الذي قال حرفيًّا: يبدو أن مهمة التحالف الدولي صارت الغطاء الجوي للنظام السُّوري.

الطرفة المضحكة هنا أنَّهُ حَتَّىٰ الآن يزعم النِّظام وأنصاره أن هناك مؤامرة كونية ضده، في حين أنهم يرون التَّدخُّل الرُّوسي مدعاة للفخر، وصرنا نقرأ علىٰ صفحات النِّظام وإعلامه وأنصاره ما يدعو إلىٰ طيران العقل من الرأس من دون هز.

الإعلام السُّوري يتحدث برشاقة غير طبيعية عن قيام الطيران الرُّوسي الشقيق بدك أوكار الإرهابيين في حمص وحماة واللاذقية... وأكثر صفحات أنصار النِّظام بفخر واعتزاز تتحدث عن الرفيق الشيوعي المناضل فلاديمير بوتين الذي لا يركع إلا لله بأنه سيهزم قوى الشر والكفر والإلحاد في سوريا!!! وإذا كان قال بعضهم بالطيران الرُّوسي الشقيق فبعضهم قال: الطيران العربي الرُّوسي...

وارتفعت معنيات النِّظام وأنصاره فجأة من الحضيض بل من تحت تحت الحضيض إلىٰ عنان السَّماء. رامبو روسيا رفع معنويات النِّظام السُّوري وأنصاره إلىٰ السَّماء، فارتفعت نبرة تهديد النِّظام للشَّعب السُّوري كثيراً، وبدأ النِّظام يعيد ترتيب أوراقه وكأنَّ الصراع انتهى، والنصر انحسم، وانقلب علىٰ الهدن والمصالحات التي عقدها مع بعض المناطق... كلُّ ذَلكَ لأنَّ السيد آية الله فلاديمير بوتين شلح البيجامة ولبس البدلة العسكرية ونزل إلىٰ الساحة السُّوريَّة.

دريد الأسد الذي كان يشكو منذ أسابيع ويستنجد بحسن نصر الله لحماية العلويين في الساحل راح يتحدث عن النصر ويبارق النصر، أنصار النِّظام تغيرت لهجتهم وزال يأسهم وإحباطهم وراحوا يهللون للنصر الذي صار يبدو لهم جليًّا واضحاً. ولغة إعلام النِّظام صارت فحرة مبتهجة بعد أن أكلها عثُّ اليأس والإحباط...

ويفخر النِّظام السُّوري بأنَّ بكل وقاحة بأنَّ روسيا تقصف الشَّعب السُّوري بناء علىٰ طلبه، ويفخر (أشقاء لنا في الوطن) بأنَّ روسيا تقصفنا بطائراتها.

(أشقاؤنا في الوطن) لا يروننا من الوطن، يروننا دخلاء، يروننا أعداء...

أنصار النِّظام، والنِّظام في ذَلكَ سواء، حَتَّىٰ الآن لا يرون أنَّهُم دمروا ثلثي سوريا، ولا أنَّهُم شرَّدوا أكثر من نصف الشَّعب السُّوري خارج سوريا، ولا أنَّهُم قتلوا نحو مليون سوري... ويصرون علىٰ أنَّ هٰذا الشَّعب السُّوري كله خائن وعميل ارتاح الوطن منه بقتله أو تشريده...

(أشقاؤنا في الوطن) مصرون علىٰ فكرةٍ واحدةٍ هي أن نعترف بأنَّنا عملاء أو عبيد. إذا دافعنا عن الكرامة فنحن عملاء. إذا رفضنا العدوان الرُّوسي فنحن عملاء، إذا رفضنا الاحتلال الإيراني فنحن عملاء!!!

لو كان يمكن أن تكون الحقيقة أوضح من ذلك لالتمسنا عذراً لكم يا (أشقاءنا في الوطن).

الحقيقة التي يجب أن تكون واضحة وهي واضحة وضوحاً يفقأ عين الجاحد أنَّهُ لم يحدث في التاريخ أنَّ قائد دولة استدعى جيوش الأعداء للقضاء علىٰ شعبه إلا في سوريا بقيادة الرفيق المناضل بشار الأسد

طرائف التَّدخُّل الرُّوسي وغرائبه لا تنتهي هنا. فالإرهابيون الذي يقصفهم الطيران الرُّوسي هم عملاء إسرائيل كما يقول إعلام النِّظام السُّوري وأنصار النِّظام السُّوري، وروسيا وإسرائيل تنسقان الضَّربات معاً، وقد ذهب نتن ياهو إلىٰ موسكو مع بدايات الهجمات الرُّوسية لهٰذا التنسيق، أي إسرائيل تنسق مع روسيا لقصف عملائها في سوريا والقضاء عليهم!!!

ومع ذَلكَ تساءلت قبل التَّدخُّل الرُّوسي لضرب تنظيم الدولة الإسلامية، وأعيد التساؤل هنا: لماذا روسيا تريد ضرب تنظيم الدولة في سوريا فقط؟ لماذا لا تضربه في العراق؟ في اليمن؟ في مصر؟ في ليبيا؟ لماذا حصراً في سوريا؟!

كما قلت قبل الضربة الرُّوسيَّة بوقت إنَّ روسيا لن تتدخل من أجل ضرب الدولة الإسلامية وإنما من أجل ضرب الثورة بكل مكوناتها ومقوماتها وداعش هي آخر همها لأن هناك ستين دولة تتولى شأنها. ومع ذَلكَ أعلنت روسيا أنَّها ستتدخل لضرب داعش في سوريا، والمفاجأة كانت أنَّها ضرب القوى العسكرية الثورية التي تحارب داعش!!! ناهيكم عن قصف المدنيين فهٰذه عادة سورية روسية.

لا أريد أن أطيل في هٰذه الطَّرائف التي قد لا تنتهي، ولٰكنَّ لا بُدَّ أن أختم بالتساؤل الذي يطرحه الكثيرون، ما معنى أن تبارك الكنيسة الرُّوسية (الأرثوذوكسية) العدوان علىٰ سوريا وتصفه بالحرب المقدَّسة (الحرب الصليبية المقدسة)؟ ما معنى أن يذهب بابا الأرثوذوكس إلىٰ المطار ويتلو صلواته التَّقديسيَّة علىٰ الطائرات؟ ألا يجعل ذَلكَ من حقٍّ بل من واجب المسلمين في أرجاء العالم أيضاً إعلان الجهاد المقدس ضدَّ روسيا في سوريا وروسيا؟

من المؤكد أن هٰذه الحرب لن تكون نزهة، ولن تكون عابرة، وهٰذا التَّدخُّل لن يمر بسلام. أنا لا أتحدث عن من ينتصر أو ينهزم... لا أعرف من سينتصر، ولا من سنهزم، ولٰكنِّي أعرف أنَّ بركاناً من اللهب سيحرق الكثيرين، الكثيرين جدًّا. هٰذا وجه من كثير من أوجه الكلام في التَّدخُّل الرُّوسي. رُبَّما يكون للحديث تتمة.

الفَصْلُ السَّابع

التعاون الروسي الإسرائيلي في حماية الأسد

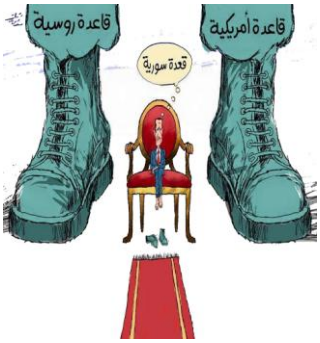
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

لم يكد بشار الأسد يقول: «سوريا ليست لمن يحمل جنسيتها، سوريا لمن يدافع عنها»، حَتَّىٰ تدافعت الدول وعلىٰ رأسها روسيا وإيران وإسرائيل لتعلن دفاعها عن سوريا... الأمر ليس مزحة ولا نكتة، الأمر حقيقة(٣٦).

هٰذه الدول موجود أصلاً في ساحة المعركة منذ بدايات الثورة بقوة ووضوح، ولٰكنَّ قرار بشار الأسد دفعها لتعلن وجودها رسميا في ساحة المعركة حَتَّىٰ تسجل حضورها وثبته في سجلات بشار الأسد من أجل الحصول علىٰ حصتها من سوريا قبل كثرة المتدخلين للدفاع عن سوريا وضياع حقوقها.

الدول العربية ليست بحاجة إلىٰ أيِّ حصَّةٍ، إنَّهَا تكتفي بتوزيع سوريا على روسيا وإيران وإسرائيل.

إسرائيل تدافع عن الأسد... إسرائيل تدافع عن الأسد عنوان تكرَّر مراراً علىٰ مدار سنوات الثورة، ومن ثمَّ فهو ليس بجديدٍ مضمونا ولا شكلاً. ومن المؤكَّد أنَّهُ لم يكن مفاجئاً لكثيرين بل لكثيرين جدًّا.

لا أحد من المتابعين والمهتمين لا يدرك حقيقة أنَّ إسرائيل تدافع عن الأسد ونظامه دفاعاً سريًّا ومباشراً وصريحاً في أحيان غير قليلة، وإن كانت

(٣٦) .كتب هٰذا المقال في ١٨/١٠/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

صراحة تحاول الاختباء وراء ورقة توت. رُبَّما لا يوجد سوريٌّ لم ير فيديو السَّفير الروسي في تل أبيب مع ضباط الاستخبارات الإسرائيلية الذي نشر في ٢٠١٢/٣/٢م، وفي الحديث أنَّهُ مضت سنة علىٰ الثورة السُّورية. هٰذا اللقاء الذي يكشف عن وعي إسرائيل بمخاطر سلوكات الأسد علىٰ أمن إسرائيل وإدراكها أن تصعيد العنف ضد الشَّعب سيؤدي إلىٰ تفجير المنطقة وتصدير الخطر إليها، ومحاولتها لذٰلك إقناع الأسد عن طريق الروس بتسليم السُّلطة قبل انفجار الوضع.

ولٰكنَّ الأسد بنظامه وبنيته لم يقبل التنازل أبداً، ولم يقبل أي حلٍّ وسط، ولذٰلك وجدت إسرائيل نفسها أمام ضرورة الدفاع عنه في كل محفل وكل مناسبة من دون أن تظهر في الواجهة. عدم ظهورها في الواجهة لم يخف حقيقة وقوفها معه الذي بدأ جليًّا في أشياء وممارسات كثيرة، وفي تسريبات كثيرة، وفي مواقف سياسية كثيرة... ليس هٰذا وقتها.

اليوم أخذ التدخل الإسرائيلي في الدِّفاع عن بشار الأسد والنظام السُّوري بعداً آخر. بعداً لا يمكن إلا استغرابه واستهجانه لشدة ما وصل إليه من الوقاحة في الوضوح والصراحة. الكثيرون يعلمون الحضور الإسرائيلي في الدفاع عن بشار الأسد ولٰكنَّ أن يصل إلىٰ هٰذه الوقاحة في الوضوح والصراحة فهٰذا أمر مربكٌ فيما يبدو.

ففي ٢٠١٥/١٠/١٥م تمَّ الإعلان شبه الرسمي بأنَّ إسرائيل تقاتل إلىٰ جانب روسيا في الدفاع عن النظام السُّوري. ولا ندري هل يطول بنا الأمر كثيراً حَتَّىٰ نتابع علىٰ وسائل الإعلام الإسرائيلية أخبار العمليات العسكرية الروسية الإسرائيلية السُّورية المشتركة في محاربة الإرهاب، أي في محاربة الثورة السُّوريَّة!!!

الإعلان جاء من موسكو التي أكَّدت في تصريح صريح ومباشر وعلني أنَّ روسيا اليوم بدأت تدريبات عسكريَّة مشتركة مع إسرائيل (في السماء السُّورية)... في محاربة الإرهاب. وتمَّ الحديث عن ما يبدو غرفة عمليات عسكرية مشتركة في مطار حميم قرب القرداحة.

إسرائيل لم تعلن ذلكَ مباشرة، ولٰكنَّ المتابعون جميعاً علموا بزيارة نتياهو مع بدء العدوان الروسي علىٰ سوريا لتنسيق العمليات العسكرية في السماء السُّورية. من غير المعقول منطقيًّا ولا عقليًّا أن إسرائيل ستحارب الأسد وروسيا تحارب خصوم الأسد ويتم تنسيق العمليات العسكرية بينهما. هٰذه ترهة لا تستوي مع أي عقل سليم. وفي هٰذا ما يؤكد ما كنا نذهب إليه في قراءة الاعتداءات العسكرية الإسرائيلية علىٰ سوريا في سنوات الثورة المنصرمة.

بدا أنَّ الإعلان سيكون مربكاً لأنصار النظام، لحلف الممانعة، لحلف مقاومة إسرائيل الذين هم ذاتهم من تدافع عنهم إسرائيل. كيف سيكون منظرهم؟ كيف سيرفعون رأسهم؟!

الغريب العجيب أنَّ شيئاً لم يتغير. ظلوا يسمون نفسهم أعداء لإسرائيل، وظلوا يتهمون أعداء إسرائيل بأنهم عملاء لإسرائيل. تخيلوا الموقف: الذين تدافع عنهم إسرائيل بشراسة يتهمون أعداء إسرائيل بأنهم عملاء لإسرائيل. ومع ذلكَ أيضاً ما زالوا يصفون الثورة بأنها مؤامرة إسرائيلية ضد المقاومة والممانعة!!!

نعم، إذا لم تستح فاصنع ما شئت. فمع الفجور لن تستطيع إغماض عينيك.

في هٰذا السياق يجب القول: من ظنَّ أنَّ علاقة إسرائيل بأمريكا أقوى من علاقتها بإيران وروسيا فعليه أن يعيد حساباته، لأنه غالباً سيكون مخطئاً... لن أقول إن أكثر من ثلث الإسرائيليين هم روس، وهم أكبر نسبة وبالإطلاق عن نسب يهود العالم الموجودين في إسرائيل. أقول تذكروا أن أوَّل دولة تعترف بإسرائيل هي روسيا التي كانت داعمة حق الشعوب في تقرير مصيرها، وداعمة النضال من أجل التحرر حينها!!! ولن أتبسط في الشواهد والأدلة فهي كثيرة يدركها المهتمون والمتابعون.

وأما إيران ففضيحة علاقتها الحميمية مع إسرائيل أكبر من أن تنكر أو يحق لأحد أن يجادل فيها. وهي ليست جديدة، إنها مع الأيام الأولى للثورة الخمينية، واستمرت قوية من دون انقطاع إلىٰ هٰذا اليوم، وقد قيل فيها الكثير، أستحضر شاهداً تم الكشف عنه مؤخراً.

كنا متأكدين تمام التأكد أنَّ إسرائيل هي التي اغتالت آلاف العلماء العراقيين إبان الاحتلال الأمريكي للعراق، وكنا متأكدين أن أمريكا لا تفعل ذٰلكَ لأنه ليس من طريقة تفكيرها في هٰذا الإطار. إما إسرائيل أو إيران أو كلاهما. منذ أيام انكشف وثائق نشرتها الجزيرة أثبتت بما لا يقبل الشك أنَّ نوري المالكي وحزبه الربيب الإيراني، الذي نشأ في إيران ومولته إيران، هو الذي كان يتجسس لصالح إسرائيل وإيران ويقدم لهما المعلومات الكاملة عن إقامة العلماء العراقيين وكيفيات الوصول إليهم، وإسرائيل وإيران بالتعاون تقومان بالاغتيال. ولذٰلك لا تستغربوا هٰذا الحلف المعقد الذي يبدو متناقضاً بَيْنَ روسيا وإسرائيل وإيران وأمريكا.

المشكلة الآن، لا أدري لماذا مرَّ اشتراك إسرائيل مع روسيا في الدفاع عن الأسد مروراً عابراً في الإعلام العربي والعالمي، وتم التعتيم علىٰ الموضوع سريعاً ولملمته، وعدم توسيع فتحة الكلام عليه ليختفي فجأة علىٰ الرَّغْمِ من خطورته التي تتجاوز حدود المعقول والمقبول كلها!!!

المسألة ليست مصادفة...

أن يطنش النِّظام السُّوري وأنصار النظَّام السُّوري ويعتِّمون علىٰ الموضوع فهٰذا أمر عادي بل هو ما لا يحتمل غيره، ولٰكن ما بال من يسمون أنفسهم أنصار الشَّعب السُّوري؟ ما بال من يزعمون أنَّهُم ضدَّ النِّظام السُّوري؟

المسألة ليست مصادفة.

إنَّهَا مرتبطة بالموقف الرَّسمي العربي الذي يريد إغماض العين عن هٰذا التَّحالف ورُبَّما الاشتراك فيه. رُبَّما نجد دولاً عربية تتحالف مع روسيا بزعم محاربة الإرهاب للقيام بعمليات عسكرية مشتركة مع روسيا، أي مع إسرائيل ضمناً. ترقبوا الأيام القادمة ففيها الخبر اليقين.

وليست الدول الغربية بمن تقف عند مثل هٰذه الفضيحة فهي ليست فضيحة عندها. كما أنَّهَا رُبَّما وجدت فرصة لا تعوض في قيام روسيا بما تقوم به لتزيح عن كاهلها عبء محاربة الدَّولة الإسلامية وتلقي بهٰذا الحمل علىٰ عاتق روسيا لتحمل التبعات وحدها بعد أن يتنصَّل الغرب من هٰذه التَّبعات ورُبَّما يقيم تواصلاته مع الدَّولة الإسلاميَّة لتبرئة نفسه وتوريط الطَّرفين؛ روسيا والدَّولة الإسلاميَّة، في حرب مفتوحة إلىٰ أجل غير مسمَّى، تدفع من خلاله روسيا ثمناً باهظاً، مثل الذي دفعته في أفغانستان يوماً ما.

الفَصْلُ الثَّامِن

الأسد في موسكو
مجلوباً أم زائراً؟

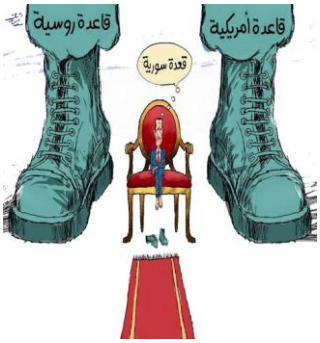
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

فجأة ومن دون أي مقدمات أو تمهيدات أعلنت وسائل الرُّوسي أمس أنَّ الرئيس السُّوري بشار الأسد كان في موسكو قبل أمس يوم الثلاثاء ٢٠/١٠/٢٠١٥م(٣٧).

أمر مدهش غير مسبوق علىٰ الإطلاق في تاريخ الدبلوماسيَّة علىٰ الإطلاق، رئيس يزور دولة فلا يعلن عن موعد الزيارة قبل ذَلكَ، ولا في الوقت ذاته، وإنما بعد عودته إلىٰ بلدته يتمُّ الإعلان عن الزيارة وطبيعتها ونتائجها!!!

حقًّا أمر أعجب من العجيب.

إنَّ محض هٰذه التركيبة الصِّبيانيَّة يدل علىٰ الأقل علىٰ مدى التَّأزُّم والخوف من الطَّرفين: روسيا وسوريا، يدل علىٰ مدى الهستيريا التي يعيش رأس النِّظام السُّوري، وحَتَّىٰ الرُّوسي الذي قبل أن يوضع هٰذا الموضوع المحرج المربك الذي أثار عاصفة من التساؤلات والتوقعات علىٰ الصعيد العالمي.

أدهشني الغباء الذي يتمتع به متصدرو المشهد الثَّوري السُّوري محليين وقياديين عندما مالوا ميلة واحدة إلىٰ أنَّ روسيا تريد أن تقصي الأسد فاستدعته لتأمره بالتَّنحِّي أو إقناعه بالحل السِّياسي. ولم يتساءل واحد أبسط سؤال: إذا أرادت روسيا إقصاء الأسد فهل هي بحاجة لاستدعائه إلىٰ روسيا لإقناعه بالحل السِّياسي؟

(٣٧) .كتب هٰذا المقال في ٢٢/١٠/ ٢٠١٥م، عقب الإعلان عن الزيارة، ونشر في الفترة ذاتها علىٰ شكل تعليقات قصيرة علىٰ صفحتي في الفيس بوك والتويتر.

يعني لا مجال لإقناعه إلا وجهاً لوجه؟

قال لي أحد السِّياسيين علىٰ الخاص بعد التعليق السَّابق: «هناك كلام لا يجوز أن ينقله مندوبون ولا يقال بالتلفون، يجب أن يقال وجهاً لوجه». ومنه موضوع الإقناع بالحل السِّياسي. يريد إقناعي بأن الأسد بات عبئا علىٰ روسيا وتريد روسيا خلعه من السُّلطة. دار حوار قصير لم أرد معه الاستفاضة وتساءلت في نفسي إذا كان السِّياسي المحترف يتفاءل بمثل هٰذا الدور الرُّوسي فلا عتب علىٰ الهواة.

الطَّريف أنَّهُ في الوقت ذاته الذي رأى فيه السِّياسيون عامة ومتنطعوا التَّنظير للثَّورة أنَّها لإقناع الأسد بالتَّنحِّي عن السُّلطة والقبول بالحل السِّياسي، فإنَّهُ علىٰ الرَّغْمِ من الصُّورة المزرية جداً للأسد في جلسته بَيْنَ يدي بوتين وهو ينظر إليه بازدراء وإملاء الأوامر والتَّعليمات، ويبدو الأسد مثل المجرم بَيْنَ يدي المحقق... فإنَّ أنصار الأسد يرون الجلسة بَيْنَ أسدين نداً لندٍّ!!!

القاع النَّفسي الذي أوهم أنصار الثَّورة تلك الأوهام هو الذي أوهم أنصار الأسد بأنَّهُ أسد يجلس إلىٰ أسد.

وراح المحللون السِّياسيين يتفتوقون في التَّخيُّل والتَّوهُّم وأكثرهم راح يقول: استدعاء بشار إلىٰ موسكو وحضوره وحيداً من دون أيِّ مرافقٍ عدا مترجمه الخاص كان من دون شكٍّ لإعلامه بأنَّ عناده بالبقاء علىٰ رأس النِّظام في سورية لم يعد ممكناً ولا مجدياً، وأنَّ سياسته في إرسال قوادين لخلط الأوراق في المؤتمرات السَّاعية لحلٍّ سياسيٍّ لن تكون مقبولةً، وعليه قبول ما سينتج قريباً من تفاهمات بَيْنَ القوى الكبرىٰ، والتي بدأت تظهر في تصريحات تركية وسعودية وغيرها...

خيال خصب في التوهم ناجم عن التنطع لما لا يفهمون، يدل علىٰ سطحية في الفهم، أساسها عدم وجود قاعٍ معرفيٍّ وعدم وجود قدرة تحليلية علىٰ الفهم والتحليل والربط. وراح كثيرون يكررون هٰذا التحليل ويتداولونه... حَتَّىٰ ظنَّ السُّوريون أنَّ مأساتهم انتهت بفضل الشَّهامة الرُّوسيَّة. وهٰذا وهم محض وغباء أيضاً لأنَّهُ ولَّد ويولِّدُ عند النَّاس انطباعاتٍ وقناعاتٍ تغيِّر موازين تفكيرهم وترقبهم وسلوكهم.

حسناً، لنقل مثلاً: لماذا لا تقولون إنَّ استدعاء بشار وحيداً يعني أنَّهُم يقولون له أنت الوحيد الذي بيده كلَّ شيءٍ وكل من حولك أصفار على اليسار لا قيمة لها؟

ألا يحتمل أنَّ هٰذه هي الرسالة التي تريد أن توصلها موسكو للمعارضة والثَّورة السُّورية؟ ولا داعي لإيصالها للمجتمع الدولي لأنَّ المجتمع الدولي مقتنع بهٰذه الفكرة ومنذ زمن لا أحسب إلا أنَّ أمريكا والنِّظام العربي يفوضون موسكو لتكريسها والدِّفاع عنها.

والذي يؤكد قناعتي هٰذه أنَّهُ بعد بعبعات وجعجعات فطاحل التحليل السِّياسي وشبه إجماعهم علىٰ أنَّ روسيا استدعت الأسد لتقول له: بح، كفى، انقلع... لتقنعه بالتخلي عن السُّلطة ودعم الحل السِّياسي... بعد كلِّ هٰذه الجعجعات الإجماعية (إلا قليل نادر) أعلن الكرملين اليوم ٢٢/١٠/ ٢٠١٥م قائلاً:

«أيُّ حديثٍ عن تنحِّي الأسد غير وارد في هٰذه الظُّروف».

ولذٰلك لا أجدُّ بدًّا من التَّساؤل: أريد أعرف كيف صاروا محللين ومن أين يأتون بهم؟

القصة باختصار: روسيا حاولت إخراج الأسد من عزلته وحالة اليأس والإحباط والاكتئاب التي يمر بها، وهي بذلكَ تحاول كسر طوق الحجر السِّياسي والإعلامي علىٰ بشار الأسد والنِّظام السُّوري، ولا تستغربوا أن تجدوا بشار الأسدج قريبا في دول أُخْرَىٰ أو أن دولاً أُخْرَىٰ تذهب إليه، ومن البداهة بمكان أن تجدوا مسؤولين سوريين يتنقلون قريباً بَيْنَ دول العالم، ووسائل الإعلام العالمية تتهافت عليه لتلميع وإعادة تأهيله الأمر الذي تناضل الولايات المتحدة من أجله منذ زمن غير قريب وقد شاهدنا في مطلع عام ٢٠١٥م رئيس المخابرات الأمريكية وهو يقول بالحرف: «لن نسمح بسقوط بشار الأسد»، وتبعه جون كيري في اليوم التالي ليقول: «لا بُدَّ من التَّفاوض مع بشار الأسد». وعلىٰ رغم هٰذا الوضوح الشديد لم يرد أحد أن يفهم التَّصريحين في السِّياق الصَّحيح.

علىٰ أيِّ حالٍ، روسيا لن تتخلى عن الأسد، ليس حبًّا بشخص الأسد كما يتوه الكثيرون، ولٰكن لمآرب أخرت أتيت عليها فيما سبق وأستكملها لاحقاً في أماكن مناسبة.

الطَّريف في الأمر هو فضيحة طريقة الزِّيارة ووسيلة النَّقل. فالأجواء السُّورية مغلقة والمطار الدولي بحكم المغلق. فبشار الأسد ذهب إلىٰ موسكو والتقى فلاديمير بوتين وعاد إلىٰ دمشق، وبعد وصوله إلىٰ دمشق قال التلفزيون الرُّوسي إنَّ الأسد يلتقي بوتين في موسكو. هٰذه وحدها فضيحة غير مسبوقة. كان يمكن أن تكون الزيارة سرية ولا هم يشمتون ولا يجزنون، ولٰكنَّ أن يتم الأمر بهٰذه الطريقة فهٰذا إهانة لا حدود لها. ناهيكم عن فضيحة نقله في طائرة شحن بضاعة بطريقة سرية. وهٰذا ما يفرض السؤال التالي بقوة:

هل ذهب بشار الأسد إلىٰ موسكو أم أُخذ إلىٰ موسكو؟

لا شك في أنَّ بشار الأسد بحاجة ماسة إلىٰ أيِّ فتحة خارجية يطل منها ويمكن أن تكون هٰذه الزيارة بناء علىٰ طلبه، ولكنَّ الحقيقة ليست كذٰلكَ أبداً في تحليلي، وأغلب الظَّن أنَّهُ استدعي استدعاء إلىٰ موسكو لأنَّ سيناريو الرحلة والإعلان عنها بالمجمل والتفاصيل تخطيط روسي ومصلحة روسيَّة، فروسيا أظهرت للعالم كله من خلال السيناريو الموصوف بأنَّ الأسد لعبة بَيْنَ يديها وتتحكم به كيفما تشاء وتشحنه من دمشق إلىٰ موسكو مثل أي طرد بريدي وليس مثل البشر أبداً. وهٰذا ما سيجعل موسكو في الموقف الأقوى في مجال الإمساك بالملف السُّوري. علىٰ الرَّغْمِ من التوافقات الأمريكية الرُّوسيَّة في هٰذا الشَّأن. فالتَّوافق والاتفاق الأمريكي الرُّوسي علىٰ بقاء الأسد والنِّظام وخنق الثَّورة لا ينفي تعارض المصالح والتَّنافس علىٰ احتكار الملف السُّوري والإمساك بزمامه علىٰ الرَّغْمِ من أن إسرائيل مع الفريقين بالدَّرجة ذاتها علىٰ الأقل في هٰذا الشَّأن.

بعد يومين فقط نشرت صحيفة لوتون السويسرية، تقريراً حول رحلة الرئيس السُّوري بشار الأسد المفاجئة إلىٰ موسكو الثلاثاء الماضي، وهي أوَّل زيارةٍ يقوم بها الأسد إلىٰ الخارج منذ اندلاع الثَّورة السُّورية سنة ٢٠١١م. نشر موقع عربي ٢١ المقال مترجماً وعنه أنقل ختاماً مقتطفات الرحلة:

تساءلت الصَّحيفة في تقريرها : «كيف تجرأ بشار الأسد علىٰ مغادرة بلاده وهو لم يعد قادراً علىٰ السَّيطرة عليها، وأجواؤها تعج بالطَّائرات الأجنبيَّة،

في رحلةٍ خطيرةٍ جدًّا كانت مشابهة لعمليَّة تهريبٍ استخباراتيَّةٍ، جهزت لها المخابرات الرُّوسيَّة علىٰ نحوٍ دقيق جدًّا. وهٰذا ما يؤكِّده خبراء الطَّيران الرُّوس، الذين حاولوا رسم مسار رحلة بشار الأسد؛ من خلال مراقبتهم لسماء روسيا علىٰ شاشات حواسيبهم».

أليكس إيفانوف أحد أبرز خبراء الطَّيران المعروف علىٰ شبكات التَّواصل الاجتماعي باسم «أليكس فلاي٣٥» هو الذي نجح في إماطة اللثام عن أسرار هٰذا العمل اللوجستي الضخم، الذي قامت به الدولة الرُّوسيَّة لتأمين حضور حليفها السُّوري. وأكَّدت الصَّحيفة أنَّ إيفانوف، الذي يعتمد علىٰ موقع «فلايت رادار» المتخصِّص في مراقبة حركة الملاحة الجوية في العالم، ويعتمد أيضا علىٰ خبرته الجوية الخاصة التي يؤكِّد الكثيرون أنَّهَا موسوعية؛ نجح في تعقب مسار الرحلة السرية التي قام بها بشار الأسد من اللاذقية إلىٰ موسكو.

ونقلت الصحيفة عن إيفانوف قوله: إنَّ عمليَّة نقل بشار الأسد كانت أشبه ما تكون بعمليَّة إيصال بضاعة؛ أكثر من كونها عمليَّة إيصال مسافر، إذ إنَّ المخابرات الرُّوسيَّة أخذت الأسد في عهدتها في صباح يوم ٢٠ تشرين الأول/ أكتوبر، في قاعدة جوية روسيَّة بمدينة اللاذقية، وقد ركب على متن طائرة "إليوشين ٦٢"، وهي طائرة حكومية روسيَّة وصلت في اليوم السَّابق بسرية تامة إلى اللاذقية، قادمة من مطار "تشاكالوفسكي" الرُّوسي الذي يقع في ضواحي موسكو... عبرت الأجواء العراقية، ثمَّ الإيرانية، قبل أن تحلق فوق بحر قزوين، وتدخل

الأراضي الرُّوسيَّة عبر منطقة أشتراخان في الجنوب، ثمَّ حطت في مطار تشاكالوفسكي في الساعة الثانية بعد الظهر بتوقيت روسيا.

وأضافت الصحيفة، نقلا عن إيفانوف، أنَّهُ «بعد لقائه مع الرئيس الرُّوسي فلاديمير بوتين؛ غادر الرئيس السُّوري مباشرة في طائرة أُخْرَىٰ من نفس النوع، وعبر المسار نفسه، ثمَّ في صباح يوم ٢١ تشرين الأول/ أكتوبر، بينما كانت السُّلطات الرُّوسيَّة تعلن عن قدومه، كان هو قد عاد فعلاً إلىٰ اللاذقية، وهو ما يجعل الرحلة في سرعتها وسريتها وظروفها؛ تشبه إلىٰ حدٍّ كبير عمليَّة نقل بضاعة حساسة.

ختاماً، إلىٰ جانب ما سبق الكلام فيه، من ظنَّ أنَّ هٰذه الزيارة ستغير الموقف الروسية، أو تتضمن أو تعني تغيراً في الموقف الروسي فهو واهم.

الفَصْلُ التَّاسع

تخبطات روسية مضحكة

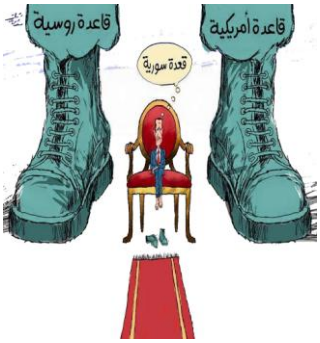
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

ما يبدو للعيان أنَّ روسيا تسيح في بحر متلاطم الأمواج من التناقضات والتخبطات حَتَّىٰ يصحُّ القول في توصيفٍ أوليٍّ: إنَّ روسيا تريد نقل الماء بالغربال، لأنَّهَا في الوقت ذاته تحاول أن تغطِّي الشَّمس بالغربال(٣٨).

روسيا ليست متمسكة بالأسد، روسيا فقط تريد حلاً سياسيًّا بقيادة الرفيق المناضل بشار الأسد، روسيا تبحث عن بديل للأسد، وروسيا تدافع عن السُّلطة الشَّرعية لبشار الأسد!!!

لن نعود إلىٰ البدايات، فقط منذ بداية العدوان الرُّوسي وحَتَّىٰ اليوم تكرَّر هٰذا التناقض عشرات المرات؛ رُبَّما كل يوم يصدر تصريحان أو بيانان من قبيل هٰذا التَّناقض... المتابع يعرف مدى هٰذه التَّناقضات وحدتها في بعض الأحيان في مسألة بشار الأسد تحديداً.

مثلاً أمس ٢٠١٥/١٠/٢٢م نشرت صحيفة التَّايمز البريطانية أنَّ روسيا عاكفةٌ علىٰ «البحث عن بديل لبشار الأسد من بَيْنَ صفوف كبار ضباط جيش النِّظام، خلال أيِّ عمليَّة تسوية مرتقبة في سوريا». وتابعت الصَّحيفة بأنَّ روسيا «كثَّفت من تدريب عددٍ كبيرٍ من أصحاب الرتب العليا من ضبَّاط جيش نظام الأسد، مع التركيز علىٰ

(٣٨) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٥/١٠/٢٤م، ونشر في الفترة ذاتها علىٰ شكل تعليقات قصيرة علىٰ صفحتي في الفيس بوك والتويتر، وفي مقال واحد علىٰ موقع الهيئة السورية للإعلام.

إعـداد قائمـةٍ بالضُّـبَّاط السُّـوريين الـذين يمكـن أن يحلـوا محـلَّ بشـار الأسـد، خـلال أي عمليَّـة انتقـال سياسـيٍّ في سـوريا». وكـأنَّ المسـألة مسـألة بحـث عن شرشف سرير مكان شرشف تالف.

في الوقت ذاته صدر أكثر من مرَّةٍ تصريحٌ من بوتين ومن لاڤروف أنَّهُم يدافعون عن الأسد، يدافعون عن النِّظام حَتَّىٰ تنطع الرئيس الرُّوسي السَّابق رئيس الوزراء حاليًّا ميدڤيتڤ إلىٰ دخول حلبة التَّصريحات ليعلن في مقابلة مع قناة «روسيا ٢٤» التلفزيونية بقوله «نحن بالطبع، لا نقاتل في سوريا لمصلحة قادة محددين، وإنما ندافع عن مصالحنا القومية». وأضاف «مسألة الرئاسة السُّورية أمرٌ يقرِّره الشَّعب السُّوري»، مشيراً إلىٰ ضرورة أن لا يصل تنظيم «داعش» إلىٰ السلطة. علىٰ اعتبارٍ يقينيٍّ أنَّ المسلمين أي السُّنَّة كلاًّ جملةً وتفصيلاً هم داعش، بدليل أنَّ لاڤروف قال منذ أكثر من ثلاث سنوات لا يجوز أو لن نسمح أن يستلم المسلمون السُّلطة في سوريا، وهٰذا ما ينسجم تماماً مع محادثة السَّفير الرُّوسي في تل أبيب مع ضباط الاستخبارات الذي تمَّ نشره علىٰ أنَّهُ تسريب.

والدليل القاطع اليوم علىٰ هٰذا الكلام هو الحرب الرُّوسيَّة ذاتها علىٰ الشَّعب السُّوري من بابها إلىٰ محرابها فهي حَتَّىٰ اليوم تستهدف المدنيين بسنبة أكثر من ثمانين بالمئة من الاستهداف. وفوق ذٰلكَ كلِّه تقريباً في مناطق لا وجود فيها للدَّولة الإسلامية أو داعش؛ مثلاً في حوران، في حمص، في حماه، في حلب، في ريف دمشق... كل المناطق المستهدفة هٰذه لا وجود مطلقاً فيها لداعش ولا بحالٍ من الأحوال وأكثر من ثمانين بالمئة من الاستهداف الروسي كان لهٰذه المناطق، والمدنيون هم الضحايا.

إذن أي حرب هٰذه علىٰ الإرهاب؟ أي حرب علىٰ الدَّولة الإسلامية؟

قلت قبل بدء العدوان في مقال اللعب على المكشوف إنَّ روسيا لن تقترب من الدَّولة الإسلاميَّة ولن تحاربها لأنَّهُ هناك تحالفٌ دوليٌّ طويلٌ عريضٌ تكفَّل بالموضوع، روسيا ستحارب الجيش الحر، والثورة، وتحارب من لا يحارب الدَّولة الإسلامية، ومن لا يقبل محاربة الدَّولة الإسلاميَّة، وتحارب من لا يقبل العودة إلى حضن قائد الوطن.

روسيا تدافع عن الأسد وعن النِّظام الأسدي، وقول بوتين ولاڤروف وميدڤيتڤ بأنَّ الأسد لا يعنيهم، وأنَّهُم مستعدون للتَّخلِّي عنه كلامٌ هراءٌ بدليل أنَّهُم قالوه منذ بداية الثَّورة مئات المرات لا مرَّةً واحدةً. وماذا كان علىٰ أرض الواقع؟!

وأما قولهم للخروج من مأزق صراحة التَّمسُّك بالأسد شخصاً بأنَّهُم ليسوا متمسِّكين به فهم يقولون من الطَّرف الآخر هو الرئيس الشَّرعي، وأنَّ مصيره يقرره الشَّعب السُّوري. عندما سئل ميدڤيتڤ عن سوريا بعد الحلِّ السِّياسي هل يجب أن يحكمها الأسد قال: «لا بالطَّبع لا. الأمر يرجع للشعب السُّوري لتقرير من يكون رئيسه... في الوقت الحالي نعمل علىٰ أساس أن الأسد هو الرئيس الشَّرعي». الجواب واضحٌ لا لبس فيه، ولا يحتاج إلىٰ أدنى توضيح، وخاصَّة إذا ما ربطناه بسياق الأمور والتَّصريحات والمماراسات.

ومن ثمَّ فإنَّ مسألة البحث عن بديل هو أمر هراء لا أساس له من الصِّحَّة، وما يحدث ليس إلا مناورة كبيرة، وفي الوقت ذاته مؤامرة كبيرة باشتراك دوليٍّ شاملٍ مثلما حدث ويحدث منذ بداية الثورة وحَتَّىٰ الآن، كل مرَّةٍ تأخذ دولةٌ دوراً في اللعبة المسرحيَّة المهزلة المأساة... سمِّها ما شئت المشكلة لم تعد في التسميات.

في هٰذا السِّياق أضحكني كثيراً التَّصريح بل التحذير الأمريكي منذ أكثر من أسبوعين. فعلىٰ الرَّغْمِ من كلِّ التَّنسيق وحَتَّىٰ التَّأييد والدَّعم أعلنت أمريكا تحذيرها روسيا من من

الاستمرار في دعم الأسد!!!

في مشاهد أُخْرَىٰ للتخبط الرُّوسي نجد التَّعامل مع المعارضة والجيش الحر والحل السِّياسي. هنا نحن أمام تناقضات لا حصر لها ومضحكة إضحاكاً لا حصر له ولا خصر.

قبيل العدوان وبعده بأيَّام نفى وزير الخارجيَّة الرُّوسي وجود الجيش الحر في سوريا. وبعد أيَّام أعلنت روسيا عن استعدادها لتسليح الجيش الحر لمقاتلة الدَّولة الإسلاميَّة!!!

بوتين بعد أيَّام من العدوان نفى وجود معارضةٍ معتدلةٍ، وبعد أيَّامٍ دعا المعارضة المعتدلة لزيارة روسيا. وبعد نحو شهر من العدوان نفى في اجتماع فيينا وجود معارضة معتدلة ومعارضة غير معتدلة فكلُّها إرهابيَّة حسب قوله، وفي أثناء ذٰلكَ كله يردف مع كل تصريح أنَّهُ يسعى للحل السِّياسي...

عندما اعترضوا عليه بأنَّهُ يقصف المعارضة التي تحارب الدَّولة الإسلاميَّة قال بوتين: يصعب التَّمييز بَيْنَهم... (كأنهم بطيخ أخضر كله نسخة واحدة) وراحد يناشد المعارضة السُّورية إعطاءه إحداثيات المعارضة التي يجب قصفها... وحَتَّىٰ الآن ما زال البحث جارياً عن البوصلة، فحَتَّىٰ الآن فإنَّ قصفه الجيش الحر والمدنيين قائمٌ علىٰ قدمٍ وساقٍ وبنسبة تصل إلىٰ مئة بالمئة.

إنَّهَا مهازل آخر إصدار.

إذن أين الحل السِّياسي وكيف يكون؟

شرح بوتين الأمر علىٰ هامش مؤتمر ڤيينا قائلاً: «نحن نتصرف تصرف أولاد شوارع: اضرب ثمَّ فاوض». أي إنَّ بوتين حسب زعمه يمسح الطرف الآخر عن الأرض ثمَّ يفاوضه بل يفاوض نفسه باسمه ويقرر الصلح مع نفسه لأنه لن يكون هناك طرف آخر يعترض أو يتحاور معه، كما حدث في الشيشان، وكما يحدث في أكثر الحروب التي لا بُدَّ أن تنتهي بسحق الطرف الآخر؟

وبعد ذَلكَ كما قرر لاڤروف اليوم ٢٠١٥/١٠/٢٤م وغيرها مرات هو وبوتين وميدڤيتڤ إذ قال: «الحل في سوريا يبدأ بانتخابات رئاسيَّة وبرلمانيَّة، ومستعدون لدعم الجيش الحر». وتابع مضيفاً اللازمة التي تكررت مئات المرات حَتَّىٰ الآن: «مستعدون لدعم الجيش الحر بضربات جوية في هجماتهم ضدَّ الإرهابيين...» ومن هم الإراهابيون؟ وكيف يدعمون الجيش الحر الذي يقصفونه؟

يبرر الرُّوس وكثيرون بأنَّ روسيا تدافع عن مصالحها كما قال ميدڤيتڤ وبوتين ولاڤروف وكما يرى المحللون. الأمر صحيح من جهة المبدأ. ولٰكن، وقد حللنا ذَلكَ غير مرَّةٍ لو أنَّ روسيا تدافع عن مصالحها بالمعنى العام للكلمة لكانت أمامها خيارات كثيرة غير الخيار الذي سارته وتسير فيه. بل إنَّ الخيار الذي اختارته سينسف مصالحها نسفاً صميميًّا من الجذور؟

للتوضيح في هٰذا السياق، وإلقاء ضوء ساطع علىٰ الموضوع من زاوية أُخْرَىٰ، لمن يريد، يجب أن نضع في اعتبارنا أنَّ روسيا أجبن من أن تتدخل في سوريا، ومن الخبل الظن أن روسيا تستغل الضعف الأمريكي لتستعرض قوتها وتفرض مصالحها ، لولا الضوء الأمريكي الأخضر الأخضر لما تجرأت

روسيا علىٰ هٰذا التدخل ولا حَتَّىٰ علىٰ التَّمادي في إمداد النِّظام بالسلاح سابقاً، هٰذا السلاح الذي تدفع دول خليجية ثمنه منذ عام ٢٠١٢م.

وعلىٰ رغم ذٰلكَ كلِّه...

بدا للكثيرين أنَّ الأسد سينتصر بعد هٰذا العدوان والزخم في دعمه من مختلف الأطراف، وعندما بدا لبعضهم أن الأسد سينتصر رفع الكثيرون قفاهم وهزوه يميناً وشمالاً وافتخروا بأنهم أساساً أساساً لم يقفوا مع المؤامرة، وأنهم أساساً أساساً كانوا يعملون بالسِّر مع نظام الأسد... وسيرفع في الأيام القريبة كثيرون خلفياتهم بأنهم مع الأسد!!!

سؤالي: لماذا يرفعون قفاهم أو خلفياتهم ولا يرفعون رؤوسهم؟

أنا أتحدث عن دول لا عن أشخاص... الأشخاص حكاية أُخْرَىٰ طويلة.

علىٰ أي حال، يبدو أنَّ هٰذا الدعم الرُّوسي والعالمي سيغيِّر الموازين علىٰ الأرض، وستتغير بكل تأكيد، ولٰكن مهما تغيرت الموازين فإنَّ النَّتيجة لن تتغير... لقد تعقدت الأمور أكثر مما يظنون... وخرج القطار عن السكة كثيراً كثيراً.

الفصل العاشر

أسباب العدوان الروسي

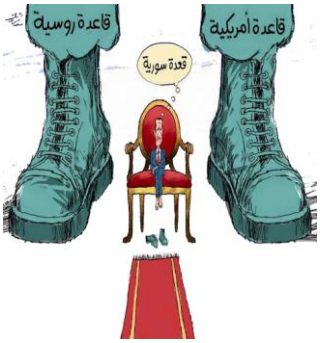
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

ما أكثر الذين قالوا وكرروا مراراً إنَّ أمريكا تورط روسيا وأمريكا تسعىٰ لتوريط روسيا، وتستدرج روسيا لتورطها في المستنقع السُّوري(٣٩)...

فمن الذي يستدرج من؟

أمريكا تستدرج روسيا وتورطها أم روسيا تستدرج أمريكا وتورطها؟

قلت قبل بدء العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا وبعد بدئه: إنَّ روسيا أجبن من أن تشن هٰذا العدوان من دون مباركة وموافقة وتأييد أمريكي... بدليل التَّصريحات الأمريكيَّة ذاتها قبل العدوان وبعد العدوان، والتَّصريحات المتبادلة الرُّوسيَّة الأمريكيَّة في الفترات ذاتها أيضاً.

وأضفت إلىٰ ذٰلكَ بأنَّ مباركةً عربيَّة وتمويلاً عربيًّا من الدُّول الغنيَّة يقف وراء هٰذا العدوان، وربَّما تتكشف حقائق هٰذا الموضوع قريباً...

الرغبة الرُّوسيَّة منسجمة بل متطابقة مع الرغبة الأمريكيَّة ولا يوجد بينهما أي خلاف جوهري في الموقف من الثَّورة السُّوريَّة ونتائجها بعشرات الأدلة والبراهين والقرائن، وليس أن تكون إسرائيل في كلا السياستين محور أساس فيما يخص الثَّورة السُّوريَّة علىٰ أقل تقدير. ولو تدخلت أمريكا أو أرادت التَّدخُّل في سوريا لما تجرأت روسيا علىٰ فعل شيء، وكلنا يتذكر وقفة لافروف صبيحة التهديد الأمريكي إثر الكيماوي ليقول: «روسيا غير مستعدة للدِّفاع عن أحد».

(٣٩) .كتب هٰذا المقال في ١٧/ ١١/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها علىٰ شكل تعليقات قصيرة علىٰ صفحتي في الفيس بوك والتويتر، وفي مقال واحد علىٰ موقع الهيئة السُّورية للإعلام.

وفي الوقت ذاته أقول لو اعترضت أمريكا أو رفضت أو لم تسمح لروسيا بالتَّدخُّل لما تجرأت روسيا علىٰ التَّدخُّل والعدوان علىٰ سوريا.

ويبقىٰ السُّؤال قائماً: ما أسباب التَّدخُّل الرُّوسي في سوريا ومن يورِّط من؟

حَتَّىٰ نفهم التَّدخُّل الرُّوسي في سوريا بل العدوان علىٰ سوريا يجب أن نتخيل جيداً لعبة أحجار الدومينو التي تُساقِطُ بعضها بالتتالي. ولٰكنَّ ما حدث في سوريا ليس كذٰلكَ، هو لعبة أحجار دومينو فقدت صوابها وصار تساقط الأحجار شبه عشوائي. وبهٰذا المعنىٰ يمكن أن نفهم كيف أن أمريكا تستدرج روسيا لتوريطها، وروسيا تستدرج أمريكا لتوريطها... نسخة مكررة من فخ الجواسيس؛ كل الجواسيس ينصبون أفخاخاً لكل الجواسيس؛ ويسقط الجميع في أفخاخ بعضهم.

تعالوا نلقي نظرة علىٰ ما حدث

اختلفت الآراء في أسباب العدوان الرُّوسي ما بَيْنَ أنَّ هٰذا العدوان للدِّفاع عن الأسد، وأنَّ هٰذا العدوان دفاع عن المصالح الرُّوسي... تأسيساً علىٰ الدعم الرُّوسي لنظام الأسد منذ بدايات الثَّورة. وهٰذه كلها تفسيرات سطحيَّة لا تتجاوز سطح الظَّاهر الذي هو في الأصل تحصيل حاصل. هي تفسيرات صحيحةً، ولٰكنَّهَا ليست هي التَّفسير الحقيقيَّ أو السَّبب الكامن وراء العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا، أو التَّدخُّل الرُّوسي في سوريا كما يحب بعضهم أن يسميه تلطيفاً وتخفيفاً.

الدِّفاع عن المصالح الرُّوسيَّة وعن نظام الأسد هو الصُّورة الصَّحيحة والنَّتيجة بحكم تحصيل الحاصل، لأنَّ التَّحليل الدَّقيق للموقف يبدي جيَّداً أن روسيا بهٰذا السُّلوك الذي بدأ مع السنة الأولىٰ من الثَّورة قد أضر مصالح روسيا

ووضعها أمام نتيجة حتميَّة في سوريا علىٰ أقل تقدير، كما أنَّهُ أضر بالنِّظام السُّوري لأنَّهَا قادته خطوةً خطوةً نحو انقطاع الأمل ببقائه. أي إنَّهَا نسفت كلَّ ما تدافع عنه. هٰذا علىٰ افتراض أنَّها تدافع عن مصالحها والنِّظام السُّوري لا الأسد.

وكثير من المحللين الغربيين والشرقيين يقولون بتفاخر الكاشف عن سرٍّ خطير:

إنَّ الرُّوس كانوا يحلمون لتاريخٍ طويلٍ بالحضور في المياه الدَّافئة، لذٰلك فهم يحرصون كلَّ الحرص علىٰ بقاء الأسد نظامه. وهذا أيضاً مهم في حقيقة الأمر، لأنَّ جنوب المتوسط كله تقريباً كان للسوفييت والرُّوس على مدار ما بعد الحرب العالمية الثانية بدءاً من سوريا مروراً بمصر إلى ليبيا فالجزائر. وهٰذا الخط أكثر من تسعين بالمئة من جنوب المتوسط، ولٰكن هم كانوا أعجز عن تحقيق الحضور بالطَّريقة الأمريكيَّة أيام العز والمجد.

لتكونَ الأمور أكثر وضوحاً، يجب أن يكون معروفاً أنَّ روسيا لم تكن ضدَّ سقوط الأسد في بدايات الثَّورة، مثل أمريكا وكذٰلكَ حَتَّىٰ إيران، بناء علىٰ سياق الربيع العربي في حينه، وتفاصيل ذٰلكَ موضوع آخر... ولٰكنَّ دولاً عربيَّة معينة، إلىٰ جانب بعض المعطيات، هي التي قادت انقلاب موقف قادة الغرب تجاه الثَّورة والنِّظام...

هٰذا يعني أن دفاع روسيا عن النِّظام السُّوري والمصالح الرُّوسيَّة في سوريا كلام عابر. فالمحاكمة المنطقيَّة لأي سلطة تقتضي في أسوأ الاحتمالات، في مثل هٰذه الحالات، الوقوف علىٰ الحياد لضمان المصالح المستقبليَّة مهما كانت النتائج، وإذا كان انتصار الثَّورة هو الأرجح فالأرجح هو الوقوف مع الثَّورة.

ومع ذَلكَ كلِّهِ ظلَّت روسيا تراهن علىٰ الحصان الخاسر؛ الخاسر فيما تقول الأدلة والقرائن كلها، وفيما يبدو للجميع جليًّا جلاءً لا يزاحمه شكٌّ. بما يعني أنَّ سبباً أو جملة أسباب أُخْرَىٰ هي التي تقف وراء التَّورُّط الرُّوسي في حمل السلم بالعرض.

الحقيقة الأولىٰ التي يجب أن تكون واضحةً في سياق أسباب التَّدخُّل أو العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا هي أنَّ هٰذا العدوان هو عدوان روسي أمريكي في وقت واحد ويمكن إضافة شريك ثالث بعض الأنظمة العربيَّة. أي العدوان ليس عدوان روسي متفرد أبداً، نقطة الانطلاق التي انطلقنا منها هي استحالة تورط روسيا بهٰذا العدوان أو التَّدخُّل من دون ضوء أخضر أمريكي وعربي في آن واحدٍ.

في عودة إلىٰ مواقف روسيا السابقة وخاصة الڤيتو المكرر بالثنائيَّة الصينيَّة وجدنا تسريبات وتصريحات وتحليلات بعضها يوحي وبعضها يؤكِّد أنَّ هٰذا الڤيتو ما كان إلا تحت الغطاء الأمريكي، والرِّضا الأمريكي، والتَّرحيب الضِّمني الأمريكي، وقال بعض المحللين الرُّوس: «لا تعتبوا علىٰ الڤيتو الرُّوسي وإنَّما انظروا إلىٰ القرار الأمريكي والإرادة الأمريكية، لو أرادت أمريكا التَّدخُّل لما أبهت بالڤيتو الرُّوسي».

هٰذا ما أدركته روسيا والتقطته بدقة. أعني أنَّهُ ليس من الضروري أن يكون الڤيتو الرُّوسي بموافقة أمريكيَّة مسبَّقة، ولا تنسيق مسبَّق. يكفي أنَّ روسيا التقطت التَّصوُّر الأمريكيَّ للثَّورة السُّوريَّة ورغباتها فيها حَتَّىٰ تبدأ برسم سياستها تجاه الثَّورة السُّوريَّة علىٰ أساسها.

هنا كانت الورطة الرُّوسيَّة الأولىٰ وبدء الانزالاق والتَّمادي في دعم النِّظام. الورطة كانت في الرغبة الرُّوسيَّة بالعودة إلىٰ السَّاحة السِّياسيَّة والظُّهور بمظهر الدولة العظمىٰ التي فقدتها مع انهيار الاتحاد السوفيتي...

روسيا بوتين ظنَّت وأدركت أنَّ أمريكا متراخيةً في أداء أي وظيفة أو مهمة في الثَّورة السُّورية. أقول ظنت وأدركت لأنَّ الأمر في حقيقته ذو شقين. أمريكا بعد اقتحام بابا عمرو في حمص دخلت في حيص بيص الثَّورة السُّوريَّة ولم تعد تعرف ماذا تفعل. بعد اقتحام النِّظام بابا عمرو حسمت أمريكا موقفها في عدم دعم الثَّورة السُّوريَّة وعدم السَّماح لها بالانتصار السَّريع في الحد الأدنى، ومد الحبل لبشار الأسد ليدمر سوريا قدر الإمكان. وهكذا فإنَّ أي سلطة تأتي بعد الصِّراع لن تجد شيئاً في سوريا، وستنشغل عشرات السنين في استجماع الذات. وقد كتبت عن ذَلكَ كله في حينه ونشرته في مواقع التواصل الاجتماعي، واجتمع في سلسلة كتبي عن الثَّورة السُّوريَّة التي صدرت عام ٢٠١٤م وعام ٢٠١٥م.

علىٰ أساس هٰذا التَّراخي الأمريكي راحت روسيا تتقدَّم إلىٰ الأمام لتملأ الفراغ كما تظن. هٰذا التَّراخي الأمريكي رويداً رويداً أبدىٰ مشكلة أُخْرَىٰ هي تراجع الدور الأمريكي وظهور العجز الأمريكي الحقيقي عن التَّدخُّل ولعب وظيفة الشَّرطي العالمي والإمبراطويَّة التي تضبط إيقاع العالم. فزاد سيلان لعاب بوتين لتصعيد الحضور الرُّوسي واستعادة المد الإمبراطوري السوفيتي.

بدا ذَلكَ لبعضهم أنَّ أمريكا تغري روسيا وتورطها أكثر فأكثر في المستنقع السُّوري. والحقيقة ليست كذَلكَ. الحقيقة أنَّ ثَمَّة تراجعاً صريحاً

في القدرات الأمريكيَّة علىٰ التَّدخُّل وحلِّ النِّزاعات وفرض إرادتها. أمريكا عاجزة عن التَّدخُّل في سوريا بكل ما تحمله الكلمة من معنىٰ، علىٰ عكس ما يتخيل المحللون السِّياسيون. بدت الأزمة السُّوريَّة لأمريكا منذ البداية أنَّها أكبر من قدراتها علىٰ الرَّغْمِ من أنَّها لو أسقطت النِّظام فلن يعترض عليها أحد... ولٰكنَّ المنطقة ستأخذ مسارات أُخْرَىٰ فوق القدرات الأمريكيَّة... كما هو الحال لو انتصرت الثَّورة، ولذٰلك وجدت أفضل الحلول اللعب علىٰ الحبال الخمسة وامتصاص الثَّورة السُّوريَّة وتأهيل الأسد قدر الإمكان.

إذن أمريكا لم تستدرج روسيا للمستنقع السُّوري بهٰذه السطحيَّة والبساطة، وإنَّما روسيا هي التي استدرجت ذاتها، وأمريكا عندما راجت فكرة الاستدراج راحت تلعب عليها، ووجدت أنَّهُ من المناسب بل من المقبول في ظلِّ هٰذا التَّعقيد الشَّديد أن تترك روسيا تحل الأزمة السُّوريَّة بأي طريقة... لتدرك بعد هٰذا التفويض أنَّها ارتكبت جريمةً بحقِّ ذاتها ومصالحها من دون أن تدري. التفويض الأمريكي والاستدراج الأمريكي كان قبل العدوان بفترةٍ قصيرةٍ فقط.

بهٰذا المعنىٰ أصبح من السَّهل القول إنَّ روسيا استدرجت ذاتها للمستنقع السُّوري، وهي تظن أنَّها تستدرج أمريكا لتخلع ثياب حضورها رويداً رويداً، لتقوم من ثمَّ بتقليم أظافرها والتَّمدُّد علىٰ حسابها. وفي الوقت ذاته تظنُّ أمريكا أنَّها تستدرج روسيا للتَّورُّط في المستنقع السُّوري علىٰ غرار التَّورُّط في المستنقع الأفغاني بدايات الربع الأخير من القرن العشرين. فوقع الطرفان كلاهما في فخ الآخر.

ساهم مساهمةً كبيرةً في هٰذا الاستدراج المتبادل أمران آخران لا يقلَّان أهميَّة عمَّا سبق:

الأول: انعدام الوجود الأوروبي. وهٰذا ليس بالجديد. فأوروبا علىٰ عظمتها وقدرتها لا حضور لها ولا قيمة في الأزمات السِّياسيَّة العالميَّة الكبرى. روسيا تدرك ذٰلكَ، وأمريكا تدرك ذٰلكَ. وهي في كل الأحوال تصطف وراء أمريكا علىٰ حلوها ومرها وخطأها وصوابها... تجعجع قليلاً أو كثيراً ولٰكنَّهَا في المحصلة تركب في القاطرة الخلفيَّة لأمريكا.

الثاني: ترهل المنطقة العربيَّة ترهلاً فاق التصورات الرُّوسيَّة والأمريكيَّة، الأمر الذي أغاظ أوباما عقب بدء عاصفة الحزم في اليمن، عندما قال غاضباً: لماذا ينتظرون من أمريكا أن تحل لهم كل مشاكلهم؟ لماذا لا يحلُّون مشاكلهم بأنفسهم؟! لقد اكتشفنا أن الأنظمة العربيَّة أوهن من بيت العنكبوت بأكثر مما نتخيَّل، إِنَّهُم إذا أراد الواحد منهم تغيير حوض المرحاض في بيته يطلب إذنًا من أمريكا ومساعدة.

السَّببُ الأخير وراء العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا؛ السَّبب الذي رُبَّما كان فيصل الحسم في تقرير خوض العدوان، ورُبَّما نشأ في أثناء العدوان، هو تجريب الأسلحة الرُّوسية. وهٰذه مسألة جدُّ خطيرة قد لا تخطر في بال أحد، وقد لا يراها كثيرون مهمة، فيما هي حاسمة أشد الحسم في حقيقة الأمر.

أمريكا منذ الحرب العالميَّة الثانية وهي تجرب أسلحتها، بالكاد تصنع سلاحاً جديداً من دون أن تظل تجربه حَتَّىٰ تصل من تجريبه إلىٰ النتيجة التي تريد؛ كانت القارة الأمريكيَّة الجنوبيَّة ساحة متواصلة لتجريب

الأسلحة الأمريكي، وثيتنام، وكانت أكبر وأعظم تجربة للأسلحة الأمريكيَّة في أفغانستان والعراق... ورُبَّما لم يعد لديها ما تحتاج إلىٰ تجريبه.

في الوقت ذاته الحقيقة التي لا يدركها كثيرون هي أنَّ روسيا منذ الحرب العالميَّة الثانية لم تجرب أسلحتها في الحروب، تصنع أسلحتها وتجربها مخبريًّا وميدانيًّا وتبيعها للدول الأُخْرَىٰ التي قد يقع علىٰ عاتقها تجريب هٰذه الأسلحة... أما روسيا فكل تجريبها للسلاح مخبري وتجريبي في الأرض الرُّوسية، ولم تجرب أسحلتها الكبرىٰ خاصَّة حَتَّىٰ الآن. بمعنىٰ أيضاً أنَّها لم تستعرض قدراتها العسكريَّة منذ الحرب العالميَّة الثانية التي كانت نكسة لها وإن انتصرت في المحصلة النهائيَّة مع أمريكا.

ما إن بدأ العدوان الرُّوسي حَتَّىٰ بدأ الاستعراض بإطلاق الصَّواريخ العابرة للقارات من بحر قزوين علىٰ الطريقة الاستعراضيَّة الأمريكية... ومرت الساعة ولم يصل صاروخ إلىٰ سوريا... أربعة عشر صاروخاً لم يصل واحد منها إلىٰ سوريا!!!

كانت فضيحةً كبرىٰ بكل المعايير والمقاييس، ولذٰلك توقفت عن البيانات الاستعراضية، واكتفت بالحديث عن النَّتائج، الكاذب في أكثر الأحيان. وصرنا نسمع عن تجريب القاذفات الاستراتيجية، والقواعد الثابتة، وغيرها مما سيكون أيضاً مما لم نسمع عنه من قبل. أتوقع أن تكون سوريا حقل تجارب مختلف الأسلحة الرُّوسيَّة مثلما كانت أفغانستان والعراق حقل تجارب الأسلحة الأمريكيَّة كلها.

أنا بوصفي سوريًّا لم أكن أرغب بل ولا أقبل أي تدخل أمريكي في سوريا. السلبيَّة الأمريكيَّة ليست في عدم تدخلها لنصرة الشعب السُّوري. إن

التَّدخُّل الأمريكي الخاطئ ومحاربتها الثَّورة السُّوريَّة وخداعها وتضليلها وزعم إمساكها العصا من الوسط هو الذي أوصل الأمور كلها إلىٰ هٰذا التعقيد كله، وأفسح في المجال للتدخل والعدوان الرُّوسي، ومزيداً من تدمير سوريا.

وهٰذا في الوقت ذاته ما انعكس حَتَّىٰ الآن انعكاساً خطيراً وخطيراً جداً علىٰ أمريكا، لقد خسرت أمريكا بهٰذا التراخي أشياء لا يمكنها استردادها مهما فعلت أمريكا بعد أوباما. ولذٰلك أقول وكأني أيُّ مفكر أمريكي وليس مفكراً لا يحب أمريكا أو يرفض سياساتها، أو غير ذٰلكَن أقول: باراك أوباما أغبىٰ رئيس في تاريخ الولايات المتحدة... لقد أخرجها من التاريخ، وأفقدها الكثير الكثير الذي ستعجز عن استرداه مهما فعلت. وستكون القيادات الأمريكيَّة القادمة أمام تركات كبيرة وثقيلة، إمَّا أن تستمرَّ في التَّراخي والتَّراجع والتَّنازل، أو أن تخوض مغامرات بوشيَّة لا أحد يدري إلىٰ أين ستقود أمريكا والعالم.

فبعد التورط ووصول الأمور ما إلى متا وصلت إليه بدأ الغربيون يتساءلون: هل ستكتفي روسيا بما وصلت إليه وأخذته من حضور وتمدد وسمعة كبيرة بحماية أصدقائها فعلاً لا كما تفعل أمريكا؟ وكيف ستستطيع أمريكا إعادة حضورها في المنطقة والخليج خاصة الذي وجد الصديق الذي يحمي صديقه بقوة؟

لنضع في الحسبان أيضاً أنَّ روسيا التي انهارت إمبراطوريتها لتندمج بالرأسمالية لم تجد منذ ربع قرن أي ترحيب أو مصداقية أو انفتاح من الغرب الأوروبي والأمريكي وظل يتعاملون معها على أنها عدو. مع هٰذا الاعتبار ستكون الأمور أكثر تعقيداً بكثير مما نتخيل، وإذا أضفنا جنون العظمة القيصري فتخليوا الكثير من الأكشن في الأيام والمرحلة القادمة.

الفصل الحادي عشر

هل كان لقاء فيينا على الإيقاع الروسي؟

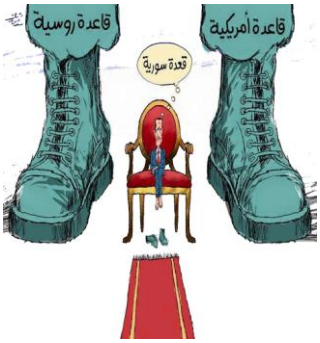
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

فجأة ومن دون مقدمات ومن دون تنبهات أو تحذيرات أو تحضيرات انعقد المؤتمر وانتهى وصدرت التصريحات سريعاً وسريعة ومضى كل إلىٰ غايته وصار المؤتمر وثيقة للمرحلة القادمة!!![٤٠]

النغمة الجديدة القديمة، هي نغمة جديدة قديمة لأنها ليست جديدة في الأصل والمعنى، وإنما هي منذ بدء تعقد الموضوع السُّوري ودخول روسيا علىٰ خط التصريحات والدور في الصراع، وجديدة لأنها الآن تظهر بطريقة جديدة. صحيح أنَّها جديدة بطريقتها إلا أنَّها لم تستفد من غباء الماضي فبدت أكثر غباء. الرُّوس يقولون اليوم: «نحن نظن أن بشار الأسد قد لا يرشح نفسه». هكذا هي العبارة بالتحديد والضبط كما جاءت علىٰ لسان المحللين الرُّوس وعلىٰ لسان لافروف وبوتين تلميحاً. «نظن أنَّهُ قد لا يرشِّح نفسه»، عبارة فيها من الاستفزاز والغباء والاستغباء كميات تجارية كافية لتوزَّع علىٰ أهل الأرض ثلاث أو خمس مرَّات في اليوم.

الأمر لا يتوقف هنا، يقولون: «روسيا لا تريد أن يبقى بشار الأسد إلىٰ الأبد». كلام قد يبدو جميلاً لمن ما زالوا يسبحون في الأوهام من المحللين السياسيين الذين دمَّروا الثَّورة بغبائهم غير المقصود. مثل هٰذا

(٤٠) .كتب هٰذا المقال في ١٨/ ١١/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها علىٰ شكل تعليقات قصيرة علىٰ صفحتي في الفيس بوك والتويتر، وفي مقال واحد علىٰ موقع الهيئة السُّورية للإعلام.

الغباء ليس موهبة إنَّهُ اجتهاد شخصيٌّ. ولٰكن إذا كنتم أيها الرُّوس لا تريدون أن يبقى إلىٰ الأبد، ولا هو أصلاً يمكن أن يبقى إلىٰ الأبد، فإلىٰ متى تريدون بقاءه؟

يقولون في الرَّد المسبق علىٰ مثل هٰذا السؤال إن سألهم أحد: «روسيا باتت مقتنعة بأنَّهُ لا مستقبل لبشار الأسد في سوريا». هٰذه الكلمة قالوها عشرات المرات منذ أربع سنوات للضيوف والزوار ليضحكوا عليهم بها. ولٰكنَّهُم الآن راحوا يقولونها علناً، هم مقتنعون بأنَّهُ لا مستقبل لبشار الأسد في سوريا، وهم في كلِّ شيءٍ أصلاً كاذبون.

المهم، إذا كانوا لا يؤمنون بمستقبل بشار الأسد في سوريا فأين مستقبل بشار الأسد؟ ولماذا لا تقبلون مناقشة وضع بشار الأسد، ولا تسمحون بالمساس ببشار الأسد؟

الطَّريف هو جوابهم المضحك إلىٰ درجة تطاير الدموع من العينين، يقولون في نقاشاتهم مع الضيوف والمندوبين، وراحوا يعلنونه علىٰ وسائل الإعلام: لا مستقبل لبشار الأسد، هٰذا المستقبل، نحن نعيش الواقع، يجب أن نفكر في الواقع الآن، والمستقبل يأتي لاحقاً...!!!».

شيء مدهش.، مفحم، يعني هم لا يريدون أن يبقى بشار الأسد إلىٰ الأبد، ويقرون بأنَّهُ لا مستقبل لبشار الأسد في سوريا... ولٰكن هٰذا ليس وقت مناقشة الأبد ولا المستقبل، هٰذا وقت مناقشة الواقع ووضع حدٍّ للصراع والدمار والقتل... بحلٍّ سياسيٍّ وحكومة وحدة وطنية بقيادة الرفيق المناضل بشار الأسد لمدة سنة، سنتين، عشر،ة عشرين، ثلاثين سنة... وفي المستقبل لن يكون هناك بشار الأسد بكلِّ تأكيد، سيكون حافظ بشار الأسد.

علىٰ وقع هٰذا التصور الرُّوسي الصريح، علىٰ ما يبدو عليه من تناقضات، انعقد مؤتمر ڤيينا لوضع خريطة طريقة للحل السياسي (للأزمة السُّوريَّة). انعقد المؤتمر بسرعة وشبه سرية بَيْنَ روسيا وأمريكا وقادة الخليج العربي وإيران وبعض الدول الأوروبية من دون وجود أي سوري من أي طرف، وقرروا خريطة الطريق الجديدة للحل السياسي السُّوري. وبعد المؤتمر خرج لافروف منفوش الريش وقال: «كل المشاركين في لقاء ڤيينا متفقون علىٰ ضرورة بقاء الأسد». ولم يعترض أحد من أي طرف أو دولة ولا يجرؤ أحدٌ علىٰ ذٰلكَ علىٰ الإطلاق، والذي يرى أنَّهُ رجل من قادة وزعماء الدول المذكورة آنفاً بإمكانه أن يعترض ويقول لافروف كاذب. أي إنَّ قادة العرب وأمريكا وأوروبا، وبطبيعة الحال روسيا وإيران يصرون علىٰ بقاء الأسد، يعني هزيمة الشَّعب السُّوري، لأنه لا يمكن أن يبقى الأسد إلا بهزيمة الشَّعب السُّوري.

علىٰ الهامش وقبل المتبعة في الموضوع، من الضروري الإشارة إلىٰ أنَّ مؤتمر أو لقاء ڤيينا عقد في ظل أحداث باريس التي أربكت العالم، والتي يفترض أن تمنع أو تؤجل عقد مثل هٰذا الاجتماع، ولٰكن مع ذٰلكَ انعقد اللقاء.

ورقة ڤيينا نسفت كل التفاهمات الدَّولية السَّابقة حول الحل السِّياسي السُّورية التي كلها أصلاً لم تكن مرضية للشَّعب السُّوري ولا مقنعة ولا تلبي ربع طلباته... ولٰكنَّهُ قبلها ابتلاعاً علىٰ أنَّها الدواء الذي لا بُدَّ منها... ومع ذٰلكَ جاء تفاهم ڤيينا لينسف كل هٰذه التَّفاهمات ويقدِّم خريطة طريق جديدة هي ذاتها تقريباً يريدها النِّظام السُّوري لأنَّهُ هو الذي وضعها النِّظام للقضاء علىٰ الثَّورة. ولذٰلك علَّق بعضهم بأنَّ

نتائج قيينا على الدبدبة الرُّوسية، لأنَّ المؤتمر عقد بعد القصف المجنون الذي تقوم به روسيا على الشَّعب السُّوري.

هٰذه الخريطة التي يريدها النِّظام ويرجوها هي ذاتها التي تريدها أمريكا وإسرائيل والنِّظام العربي وإيران في وقت واحد. ولذلك لا مبالغة في القول إنَّ روسيا التي فرضت إيقاعاتها في جنيف إنما فرضت رغبة الآخرين وظهرت على أنَّها النتصر وعلى أنَّها تفرض إرادتها هي. ما تريده هٰذه الأطراف قاطبة هو حرف مسار الحل السياسي وتوجيه الأنظار عن الثَّورة ومأساة الشَّعب السُّوري إلى محاربة الدولة الإسلامية على أنَّها الإرهاب ومحاربة أي توجه إسلامي في المنطقة باسم محاربة الإرهاب.

ورقة جنيف هٰذه لم تكتفي بموضوع بقاء الأسد بل تجاوزتها إلى نسف شامل تقريباً لكل حقوق الشَّعب السُّوري ومطالبه ومكافأة الأسد ونظامه بانتصار ساحق على الشَّعب السُّوري، وقد عبَّر عن بنود هٰذا اللقاء كلٌّ من جون كيري وسيرچي لافروف حَتَّى لا يتركان باباً للتأويل مفتوحاً، فكلاهما قال:

. بقاء الأسد ضرورة والأسد يجب أن لا يبقى!!!

وكلاهما قال كلٌّ بطريقته:

ـ لا داعي لمناقشة غير محاربة الإرهاب وداعش... داعش مفهومة، أما الإرهاب فحسب التسريب الرُّوسي والمسودة الرُّوسية المطروحة قبل نحو شهر فهو كل فصيل أو طرف أو فريق لا يقبل العودة إلى حضن النِّظام بأدب واحترام، بل إن روسيا تسعى لاستصدار قرار من مجلس الأمن تحت البند السابع لاستخدام التحالف الدولي في ضرب وقصف كل من لا يعود إلى حضن النِّظام.

وبقية بنود الورقة الأُخْرَىٰ هي:

. وقف إطلاق النار خلال ثلاثة أشهر... ومن البداهة بمكان أنَّ الوقف مطلوب فقط من الثَّورة أما النِّظام فلن يتوقف عن القصف والقتل والاعتقال ولديه ذرائعه التي يوافقه عليه أطراف ڤيينا.

. مرحلة انتقالية خلال ثمانية عشر شهراً يترشح الأسد في نهايتها لانتخابات الرئاسة...

. تكليف الأردن بإعداد قائمة بالمجموعات الإرهابية... وبعد وقت قليل من كتابة هٰذا المقال ونشره قدمت الأردن لأمريكا وإسرائيل وروسيا وإيران قائمة بأكثر من ألف وخمسمئة فصيل إرهابي، بما يعني نظريًّا أنَّها وضعت علىٰ قائمة الإرهاب كل فصائل الثَّورة من دون استثناء ومعها فصائل قيد التشكيل أو محتملة التشكيل لأنه لا يوجد في سوريا أكثر من نحو مئتي فصيل في أكبر الاحتمالات.

. نسف الحكومة الانتقالية والقول بحكومة وحدة وطنية تحت إشراف الرفيق المناضل بشار الأسد... الذي طبعاً، كما في التسريبات والتصريحات، سيترشح مثل أي مواطن يحق له الترشح لانتخابات الرئاسة القادمة في ختام المرحلة الانتقالية.

ماذا بقي من مطالب الشَّعب الثائر؟ بل ما بقي من الشَّعب بعد هٰذه البنود؟

كما قلت منذ زمن وكررت مئات المرات: العتب ليس عليهم، العب علىٰ السُّوريين كلهم بالمطلق. العتب واللوم علىٰ القادة لصوص الثَّورة الذي أعمتهم الأموال وعقد الزعامة وباعوا الثَّورة وباعوا سوريا

لإرضاء عقد نقص ولصوصيتهم، وأكثر في حقيقة الأمر من الأغبياء والبلهاء الذين وصلوا إلىٰ ما هم عليه من مراكز قوة بالخيانة التي مكنهم بهم أعداء الثَّورة الذين يمولونها من أجل القضاء عليها، ولم يتمكنوا بذكاء ولا بحنكة، وبهم ملهم تمت تصفية القادة الشرفاء لأنهم كانوا العقبة أمام المشروع الخارجي المعادي للثورة.

الفصل الثاني عشر

من سيفاوض الثوار السوريين بعد روسيا ؟

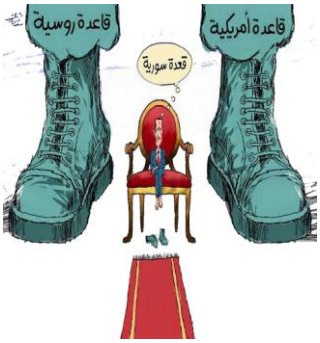
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

السِّياق والتَّتابع المنطقي لأحداث الثَّورة والتَّدخُّلات الدَّاعمة للنظام تفرض علينا طرح هٰذا السُّؤال بقوَّة وإلحاح: من سيفاوض الثوار السُّوريين بعد روسيا(٤١).

بدأت روسيا منذ فترة غير قصيرةٍ بالتَّكلم باسم النِّظام والتَّفاوض باسم النِّظام علىٰ الصَّعيد الخارجي... كان ذٰلكَ ملفتاً نوعاً ما، وموضع سخرية الكثيرين وخاصة من السُّوريين، حت إنَّ السُّوريين منذ أواخر السنة الأولى من الثَّورة السُّورية بدأوا يخلعون الألقاب السُّورية علىٰ القادة الروس، فصاروا عندما يتحدَّثون عن لاڤروف يقولون: وزير الخارجية السُّوري سيرچي لاڤروف قال، وفعل، وطلب... وعندما يتحدثون عن بوتين يقولون: بو علي بوتين، وبعضهم يقول آية الله أبو علي بوتين. بل أكثر من ذٰلكَ إنَّ النِّظام ذاته وأنصاره قدسوا بوتين إلىٰ ابعد الحدود، وارتفعت صور ڤلاديمر بوتين والعلم الروسي في أرجاء البقع السُّورية التي يسيطر عليها النِّظام إلىٰ جانب صور بشار الأسد ذاته.

(٤١) .كتب هٰذا المقال في ١٨/١١/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها علىٰ شكل تعليقات قصيرة علىٰ صفحتي في الفيس بوك والتويتر، وفي مقال واحد علىٰ موقع الهيئة السُّورية للإعلام.

ومع ذَلكَ بقي ذَلكَ كله في إطار ما يمكن أن يمر أو يتم تجاوزه وإن كان علىٰ مضضٍ غير قليل.

الآن تجاوزت روسيا كل الخطوط الحمر والصفر والزرق والنيليَّة وبدأت ومن داخل الأرض السُّوريَّة بمفاوضة الثُّوار علىٰ نحوٍ مباشرٍ بديلاً عن النِّظام؛ تنذرهم، تمهلهم، تهادنهم، تدعوهم إلىٰ موسكو، تقدِّم لهم ضمانات، تعطيهم المهل، تهدِّدهم... وكأن روسيا هي الحاكم الفعلي لسوريا، وكأنَّ روسيا تحتلُّ سوريا فعلاً، وكأن الثَّورة السُّورية هي في موسكو ضدَّ النِّظام البوتيني... وكأنَّ الأسد ونظامه لا قيمة لهم بل ولا وجود!!

كان حزب الله في بدايات تفكك النِّظام يقوم بهٰذه المهمة، قام بها أوَّل ما فعل في القصير، ثمَّ بعض المناطق الأُخْرَىٰ. وسرعان ما خطفت منه إيران هٰذه المهمة وركنته جانباً وصارت هي من يفاوض عن النِّظام وحزب الله؛ في الهدن، في المصالحات، في الحصار، في فك الحصار، في تبادل الأسرى... فعلت ذَلكَ في حمص، في حلب، في إدلب، في درعا، في الريف الريف الدمشقي...

تلقى الإيرانيون ضربات كثيرة وموجعة، وهٰذا لا يهم في موازين الأنظمة، كل القتلى قيمتهم عند الأنظمة صفر، ولذَلك فإنَّ الضربات الموجعة والقتلى الكثيرين لم يكونوا ليعنوا شيئاً في موازين النِّظام الإيراني، الذي يعنيه ذَلكَ وعناه هو أنَّ إيران أخفقت، وأعلنت يأسها وعدم قدرتها علىٰ إدارة دفة الصراع، وعجزها عن تحقيق النصر.

هنا مان لا بُدَّ من استدعاء أو دخول مقاول آخر علىٰ خط الصراع، جاءت روسيا، أزاحت الجميع وبدأت هي تفعل ذَلكَ علىٰ الأرض السُّورية...

كل ذَلكَ سابقاً وإلىٰ الان وكأن بشار الأسد والنِّظام غير موجودين...

اليوم ٢٠١٥/١١/١٨م أعلن الجيش الحر في الغوطة الشرقيَّة أنَّهُ تلقى عروضاً من روسيا بهدنة لمدة خمسة عشر يوماً... روسيا هي التي تحارب وهي التي تهادن جهاراً نهاراً، وكأنها هي التي تحكم سوريا، وكأن الثَّورة على روسيا في سوريا!!

الطريف في الأمر، وغالباً مثل العادة فيما سبق مع حزب الله وإيران، أنَّ روسيا تفاوض الثُّوار من عندها؛ بشروطها وطلباته وضماناتها... من دون مشاورة النِّظام، ومن دون أن يعلم النِّظام أصلاً. ولذلك فإنَّ النِّظام مثل العادة يسمع هٰذه الأخبار من وسائل الإعلام ولا يدري من أين هي ولا مدى صحتها. وعندما أذاعت وسائل الإعلام هٰذا الخبر ليلاً ذهبت مخابرات النِّظام إلىٰ وزير المصالحة الوطنية المعارض صديق بشار الأسد علي حيدر وأيقظته من نومه ليعلن عدم صحة هٰذا الخبر... أو رُبَّما أذيع بيان التكذيب باسمه وهو نائم في البيت لا يدري أنَّهُ ظهر علىٰ التلفزيون وأنكر ونفى... مثلما فعل وغيره أكثر من مرة وتبين كذبهم فيما بعد.

النِّظام السُّوري خرج من السَّاحة السُّورية منذ سنتين علىٰ الأقل، ولم يعد يحقُّ له أن يدير الصِّراع في سوريا، ولا أن يتدخل، ولا أن يقول رأياً، ولا

يعلن موقفاً في مثل هٰذه التدخلات، وليس بقاؤه إلا هيكلاً رمزيًّا بل كاراكوزيًّا يتصرف الجميع علىٰ التتالي من دون إذنه ولا مشاورته ولا علمه. بدأ أنَّ حزب الله تحركه علىٰ هٰذا الأساس واستمرَّ فترة من الزمن حَتَّىٰ أعلن إخفاقه وإفلاسه فأخذت إيران الدور نحو السنتين الماضيتين حَتَّىٰ أعلنت إخفاقها ويأسها وإفلاسها، فنزل الدُّبُّ الروسي إلىٰ الساحة وراح يدير الصراع أو يتوهم أنَّهُ يدير الصراع نيابة عن نفساه وعن العالم وعن النِّظام.

للحقيقة والتاريخ، النِّظام تخلى عن هٰذه الأدوار بإرادته، منذ بدايات الثَّورة ترك القيادات الميدانية للجان الشعبية والموالين ولم يناقش أحداً ولم يحاسبه، بل إنَّ اللواء جميل حسن نشر علىٰ صفحته في الفي سبوك منذ نحو ثلاث سنوات تفويضاً لكل القيادات من أعلاها إلىٰ أدناها بالتصرف من دون الرجوع إلىٰ القيادة الأعلى. كل قائد مجموعة، أحياناً كل فرد، مفوض بالتصرف الحر كما يراه صحيحاً من دون الرجوع إلىٰ أحد، ومن دون مساءلته إن هو أخطأ أي خطأ. الأمر الذي أثار حَتَّىٰ حفيظة أنصار النِّظام وهاجموا هٰذا التفويص.

واكتفى النِّظام في ظل ذٰلكَ بالبقاء علىٰ كرسي القيادة رمزاً وحاصداً ثمار الجميع، من أخطأ تحمل خطأه ودفع الثمن ومن نجح قبض هو النجاح وثمن النجاح.

علىٰ أيِّ حال، لا يمكن إلا أن تعلن روسيا يأسها وإفلاسها شاءت أم أبت، ليس لأن الثوار أقوى منها، ولٰكنَّ لأن الثَّورة دائماً هي الأقوى، ولأن الشعب صاحب الأرض دائما هو الأقوى، طال الزمان أم قصر.

ولٰكنَّ عقلية الدب التي تحكمها تجعل من الصُّعوبة بمكان أن تعترف باليأس والإحباط والإخفاق، ورُبَّما تمضي بها إلىٰ أبعد شوط في القتل والتدمير حَتَّىٰ لا تعترف بهزيمتها، وستخرج مهزومة وهي تعلن انتصارها. عقليتها عقلية شمشون والكاذب معاً. ستخسر وتقول أربح، ستهزم وتقول انتصرت... ولٰكنَّهَا ستصرخ أخيراً وتقول: لم أعد أحتمل... ستقول ذٰلكَ سرًّا وتعلن انتصارها في وسائل الإعلام.

فمن ذا الذي سيفاوض الثوار بعد روسيا باسم النِّظام أو بدلاً عنه ومن دون مشاورته؟

النِّظام السُّوري وأصدقاء النِّظام روسيا وإيران وحزب الله والعراق، وأصدقاء الشعب السُّوري (علىٰ أساس أعداء النِّظام) أمريكا والخليج والمحيط والدول الأوروبية كلهم في حلفٍ واحدٍ، وتنسيق واحدٍ يقصف سوريا، ومع ذٰلكَ يزعم فريق أنَّهُ ضدَّ النِّظام ويزعم فريق أنَّهُ مع النِّظام....

وماذا يوجد أعجب من ذٰلكَ.

قلت في بدايات الثَّورة السُّورية، وكررت ذٰلكَ غير مرة في أكثر من موضع: «العالم بعد الثَّورة السُّورية غير العالم قبل الثَّورة السُّورية».

عندما قلته في بدايات الثَّورة قلته وأعنيه حَتَّىٰ لو أنَّ الثَّورة انتصرت سريعاً مثل ما حدث في مصر وتونس. توقَّعت كثيراً مما وصلت إليه الأمور، توقعت الصُّورة نفسها تقريباً، ولٰكن حقيقة لم يخطر في بالي أن تكون الصُّورة مؤلمةً بهٰذه الطَّريقة والدَّرجة. لم أتخيَّل أن تصل الوقاحة في المجاهرة إلىٰ هٰذا الحد. توقعت الكثير من الخيانات ولٰكن لم أتخيل أن تكون كثيرةً إلىٰ

هٰذه الدَّرجة التي لا تحتمل... عندما قال النِّظام مؤامرة كونيَّة قلت: صدق، هي مؤامرة كونية علىٰ سوريا وليست علىٰ النِّظام. وقال الكثيرون مثل هٰذا القول فيما أحسب. ولٰكنَّ أحداً لم يتخيل أن تكون المؤامرة فعلاً كونيَّة بهٰذه الطَّريقة الشَّاملة شبه المطلقة.

الأمور اليوم تزداد تعقيداً، وتحت القش حركاتٌ مريبةٌ جدًّا، إلىٰ حدٍّ مربكٍ وأكبر كثيراً من كل التَّوقعات إلىٰ درجة أن التَّوقع القديم بات أقلَّ من الحقيقة... أظنُّ أن المجموعة الشمسية كلها ستكون غير ما كانت عليه قبل الثَّورة السُّورية.

ولذلك إذا استمرَّ الصِّراع بعض الوقت فلا تتفاجأوا إذا رأيتم أمريكا أو إسرائيل تقفان موقف روسيا اليوم في مفاوضة الثُّوار علىٰ الهدنة وفكِّ الحصار وتبادل الأسرى والعودة إلىٰ حضن الوطن.

هٰذه ليست نكتة، هٰذه حقيقة تجلت في بعض صورها علىٰ نحو لا يقل أبداً في جوهره عن قيامهما بالتفاوض بدلاً عن النظام وباسمه ومن أجل مصالحه.

الفصل الثالث عشر

متى تجر روسيا أذيال الخيبة؟

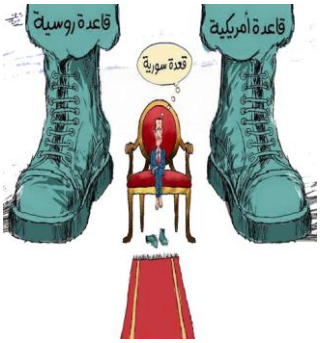
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

في لقاء تلفزيوني قبل بدء العدوان الرُّوسي علىٰ سوري بنحو العام منشور علىٰ اليوتيوب في حينه، وفي مقال تنبوئي بالعدوان الرُّوسي قبل العدوان بنحو شهر، قلت: «إذا كان الرُّوس صادقين فلن يوجد في الدنيا كاذب». وليس من الضَّروريِّ التَّمييز كلَّ مرَّةٍ بَيْنَ الشَّعب والسُّلطة، وهٰذا ذاته سيبدو أمراً معقداً بعد حين(٤٢).

وفق الإعلام الرُّوسي فإنَّ الانتصارات التي حققها القصف الرُّوسي تفوق انتصارات السوفييت في الحرب العالميَّة الثانية، مثل إعلام النظام السُّوري الذي حرر سوريا أكثر من خمسين مرة. ووفق الإعلام الرُّوسي فإنَّ القصف الرُّوسي لا يصيب أي مدني، ولا أي هدف مدني، لا يصيب إلا الإرهابيين بدقة يضجر منها إبليس، فقد دمر القصف الرُّوسي ٢٥٦ مركز قيادة للإرهابيين، و٣٢٠ غرفة عمليات للإرهابيين، وأكثر ٢٨٠٠ مستودع أسلحة وذخيرة للإرهابيين... شيء مدهش، مدهش إدهاشاً يدهش الإدهاش ذاته. بربكم أيها الرُّوس ألا تخجلون من هٰذا التَّجديف؟ هل يوجد ٢٨٠٠ مستودع أسلحة في روسيا كلها التي يزيد حجمها سوريا مئة مرة؟

(٤٢) .كتب هٰذا الفصل في ٢٠١٥/١١/١٩م وهو مجموعة تعليقات ومقاربات نشرت قبل ذٰلكَ وفي الفترة ذاتها في مواقع التواصل وتم استكمالها في هٰذا المقال الذي نشر بعد نحو شهر من ذٰلكَ.

هل يوجد في روسيا كلها ٢٥٩ مركز قيادة عسكريَّة؟ وكم غرفة عمليات عسكريَّة في روسيا؟

وفق هٰذه البيانات الرُّوسيَّة التي يبثها الإعلام الرُّوسي ذاته فإنَّ كل عشرين متر من سوريا التي يسيطر عليها الثوار فيها مركز قيادة عسكريَّة أو مستودع أسلحة أو غرفة عمليات عسكريَّة!!! وهٰذا ما لا يختلف أبداً عن قول بشار الأسد في لقاء تلفزيوني إنَّ ملايين السُّوريين إرهابيين. إذا وفق تقديره حينه أنَّهُ يوجد مئات آلاف الإرهابيين السُّوريين، وكل أخوتهم وأهلهم وأقربائهم وأصدقائهم وجيرانهم حواضن إرهاب أي إرهابيين. وبهٰذا الحساب إذا افترضنا مئات الألوف كما قال وأقل الجمع ثلاث فلدينا ثلاثمئة ألف إرهابي، وأهل كلِّ واحدٍ وأقرباؤه وجيرانه لن يكونوا أقل من مئة، فإنَّ عدد الإرهابيين السُّوريين فقط كما قال لا يقل عن ثلاثين مليون!!!!!!

والطَّريف أنَّهُ مع كلِّ هٰذه الإنجازات وهٰذه الانتصارات وهٰذا التَّقدم للطَّيران الرُّوسي، أن بوتين يخاطب الجيش الرُّوسي في سوريا غاضباً ويعلن عدم رضاه عن سير العمليات، وأنَّها تسير ببطء، وتقصير، وأنَّهُ ينتظر روسيا والجيش الرُّوسي عمليات كبيرة وعليهم أن يكونوا علىٰ قدر المسؤوليَّة. لنكتشف وجود قيادات عسكريَّة وجيش روسي في سوريا وليست المسألة مسأله قصف جوي وصاروخي عابرات للقارات وحسب.

فإلىٰ أين تسير عربة العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا؟

هل سينتصر العدوان الرُّوسي ويقضي علىٰ الثَّورة؟

كثيرون يفضلون صوغ السؤال بطريق العنوان التي يرأس هٰذا المقال: متىٰ تجر روسيا أذيال الخيبة؟

كثيرون وكثيرون جدًّا ينطلقون من أنَّ روسيا ستجر أذيال الخيبة وتعود بخفي حنين أو من دون الخفين... ينطلقون من هٰذه الصُّورة علىٰ أنَّها مسلمة وحتميَّة تاريخيَّة وهلم جرًّا من هٰذا القبيل.

في خاتمة أول مقال كتبته عن العدوان قبل العدوان بنحو شهر قلت: نحن لن نقول ستتحطَّم جحافل الجيوش الأجنبيَّة علىٰ أرض سوريا. سنقول لهم يمكن أن تدمروا أكثر مما هو مدمر حَتَّىٰ الآن، ويمكن أن تقتلوا أكثر مما تم قتله حَتَّىٰ الآن، ويمكن الآن تشردوا أكثر مما تشرَّد حَتَّىٰ الآن... ولٰكن في النهاية ستدفعون الثمن. تحصد مما تزرع. كل ما كان في تاريخ الشعوب القديمة لا معنىٰ له اليوم أمام التَّوثيق الذي لا ينسى.

والسؤال الذي يسألني إياه الكثيرون: متىٰ ستدفع الثمن؟ متىٰ تجر أذيال الخيبة؟

أن تدفع روسيا الثَّمن لا يعني أبداً أن السُّوريين هم من سيقبض المدفوع، ولا يعني بالضرورة أن السُّوريين هم من سيجعلها تدفع الثمن. دفع الثمن له أكثر من سبيل في إطار صراع الحضارات والسيرورة الحضاريَّة الراهنة والمستقبليَّة.

أريد أن أقول من ذٰلكَ علىٰ السُّوررين ألا يحلموا كثيراً بانهيار روسيا أو إعلان ندمها وإعلان هزيمتها في سوريا. بل دعوني أقل

بفجاجة أكبر: حَتَّىٰ لو سقط النظام وبشار الأسد فهٰذا لا يعني أنَّ روسيا انهزمت أو جرت أذيال الخيبة. هنا يمكن القول إن الثَّورة انتصرت ولٰكن ليس بالضرورة أن روسيا انهزمت. فكروا جيِّداً فيما يسمىٰ الأهداف. ما أهداف روسيا من العدوان؟ ولهٰذا السبب كان بحثنا السَّابق في أسباب العدوان الرُّوسي.

مهما كانت أسباب العدوان، وهي متعددة الأوجه كما أبنا سابقاً، فإنَّ المشكلة الأساسيَّة التي تعنينا هي متىٰ يتوقف القصف والتَّدمير علىٰ سوريا من قبل الرُّوس الذين كانوا يقدمون أنفسهم دائماً علىٰ أنَّهُم الإنسانيون الرحمانيون وتبين أنَّ الشيطان يتعوذ بالله منهم. فالحقيقة التي كشف عنها العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا أنَّ أمريكا الإمبرياليَّة الوحشيَّة الدمويَّة في احتلالها العراق لم تكن بهٰذه السَّاديَّة والدمويَّة واللاإنسانيَّة.

ويبقىٰ السُّؤال: متىٰ وكيف ينتهي هٰذا العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا؟

حَتَّىٰ نعرف كيف ومتىٰ ينتهي هٰذا العداون نحن أمام ستة مؤشرات خمسة منها في كفَّةٍ ومؤشِّر خامس في كفة أُخْرَىٰ. ولعَلَّه من الطرافة بمكان أنَّهُ يمكن حساب حساب كلِّ واحدٍ من المؤشرات لوحدة، ولٰكنَّهَا بالمجمل متزامنة وتدعم بعضها بعضاً، وتفسر بعضها بعضاً أيضاً.

أولاً: في موازين القوى. شاء من شاء وأبىٰ من أبىٰ فإنَّهُ من العبث بمكان المقارنة بَيْنَ موازين القوَّة السُّوريَّة الثَّوريَّة خاصَّةً وبَيْنَ

القوَّة الرُّوسيَّة. لا مجال للمقارنة بحال من الأحوال مهما بلغت الهمة، ومهما بلغ الحق من القوة ومهما بلغ دعم الخارج للثورة السُّوريَّة، ولا يوجد دعم أبداً في حقيقة الأمر وواقع الحال، فكيف والثَّورة يتيمة محاصرة بالأعداء اللئام من كل حدب وصوب وأبرزهم زاعمي دعم الثَّورة؟ من هٰذه الزاوية فلا مجال لتجر روسيا أذيال الخيبة. يمكن أن تنهي عملياتها العسكريَّة لسبب أو لآخر، وتخرج وكأنها لم تخسر شيئاً.

ثانياً: عقليَّة بوتين السلطان الأوحد للقرار الرُّوسي، عقليَّة مستبد ساديٍّ مهووس بالاستعراض وانتهاز الفرص، هو يعرف إمكانات روسيَّة بالمقارنة مع غيرها ويعرف حدود روسيا عند الضرورة ولٰكنَّهُ نهاز للفرص. والمشكلة هنا هو أنَّهُ وضع نفسه وروسيا في موقع حرج من عدم التَّراجع أمام أي ضغوط من الجانب السُّوري الثَّوري لأنها ستعد إهانة غير محدودة للقيصر الرُّوسي، ولٰهذا أخطر ما يعقد مسألة التَّدخل بل العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا، وخاصة إذا ما وضعنا هٰذا الأمر في سياق المحاور أو المؤشرات الأُخْرَىٰ. مما يجب ذكره هنا هو أن استرضاء روسيا بطريقة ما لا يجدي أبداً ومن العبث الدُّخول في هٰذا الطريق. حاول ممثلو الثَّورة مراراً منذ عام ٢٠١١م وإلىٰ اليوم استرضاء روسيا بكلِّ السُّبل والوسائل وتطمين روسيا ولٰكنَّهَا لم تلن ولم تنعطف لأسباب أتينا عليها في حينها. ولذلك فإنَّ الأمور من هٰذه الزاوية معقدة كثيراً في حقيقة الأمر، ورُبَّما يقوم بوتين بزيادة

الوحشيَّة والجنون والهمجيَّة كثيراً إذا شعر بالحرج والإهانة من عدم تحقيق تقدم يرضي الغرور البوتيني والتَّعسف الرُّوسي.

ثالثاً: قسمٌ من أسباب العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا هو التَّخلخل الدولي والتَّشتت والضبابيَّة في الموقف من الثَّورة السُّورية والنظام السُّوري. أو في الحقيقة هكذا تبدو الأمور للعوام وعلىٰ رأسهم محللي الساعة السطحيين الذين يحللون الحدث أو التَّصريح في ساعته منعزلاً عن صاحبه وعن سياقه وعن تاريخيته. هٰذا التَّخلخل الذي علىٰ هيئة محدوديَّة تامة للدور الأوروبي وتردد أو تراجع أو حَتَّىٰ انسحاب أمريكي، وعجز أو ضياع عربيٍّ أوصل الأمور إلىٰ الضبابيَّة والغموض ومن ثمَّ الفوضىٰ والعبثيَّة التي أتاحت لروسيا أن تتقدم كلَّ ساعةٍ خطوةً إلىٰ الأمام حَتَّىٰ وجدت التَّدخل لفرض إيقاعاتها مفتوح الأبواب علىٰ مصاريعها. هٰذه الفوضىٰ والعبثيَّة والضبابيَّة ما زالت قائمة ويبدو أنَّها ستظل قائمة لأنَّ مقدماتها ما زالت قائمة بقوة بل زادت قوَّة، بما يعني أن انسحاب روسيا من المشهد السُّوري أمر متعذر في الأفق المرئي.

رابعاً: إذا نظرنا إلىٰ الموقف العربي والغربي من العدوان فإنَّ الأمور ستزداد تعقيداً إلىٰ حدٍّ بعيد أكثر من بعيد. العدوان الرُّوسي حظي قبل انطلاقه بتأييد إسرائيلي أمريكي إيراني وتمويل عربي. هٰذه العلاقة وحدها فيها من الإرباك ما يحرج المنطق أشد إرباك ويخرج العقل عن طوره. هٰذا يعني أنَّ ما سبق الحديث من مظاهر الضبابيَّة والغموض السابقة هي مظاهر لحقائق

مخالفة مضمرة، ومن ثمَّ فإنَّ العدوان الرُّوسي لم يكن من دون تفويض أمريكي إسرائيلي إيراني عربي. وهٰذا ما لا يريد الكثيرون الاعتراف به علىٰ الأقل الدعم وحَتَّىٰ التَّمويل العربي. هٰذه الشَّرعنة للعدوان الرُّوسي علىٰ سوريا من قبل الأطراف المتناقضة، علىٰ أساس ما يبدو، لم تحظ بها أمريكا في عدوانها علىٰ أفغانستان ولا علىٰ العراق. وهٰذا يعني من باب مستقلٍّ ومضافٍ إلىٰ ما سبق أنَّ العدوان الرُّوسي ماض بأريحيَّة تامَّة ومن دون أيِّ منغِّصات.

خامساً: المؤشر الذي لا يقل أهميَّة عن المؤشِّرات السابقة هو أسباب العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا. مهما كانت المؤشِّرات السابقة مهمة وفاعلة تبقىٰ الدوافع الرُّوسيَّة للتَّدخُّل في الوضع السُّوري الذي تجلَّىٰ بالعدوان علىٰ سوريا والشَّعب والثَّورة والوقوف إلىٰ جانب النظام. أنا أتحدث عن أسباب العدوان المباشر الذي بدأ في أواخر عام ٢٠١٥م ولا أتحدث عن أسباب وقوف روسيا مع النظام ضد الثَّورة منذ البدايات.

علىٰ ضوء أسباب العدوان في أقل تقدير من الصعوبة بمكان القول إنَّ روسيا يمكن أن تجر أذيال الخيبة لأنَّ العدوان الرُّوسي ليس من أجل تثبيت الأسد أو نظام الأسد منا تقول التَّصريحات الرُّوسيَّة مباشرة وغير مباشرة، وكما ترىٰ تحليلات المحللين. الدِّفاعُ عن نظام الأسد هامشٌ وهدفٌ جانبيٌّ إن تحقق فنعم وإن لم يتحقق فلا مشكلة عند الرُّوس. ومن ثَمَّ فإنَّهُ مهما كانت نتائج العدوان علىٰ صعيد الوضع السُّوري فإنَّ روسيا ستكون حققت

أهدافها من نظر بوتين الذي يخوض رحلة تدريب عسكريَّة لجيشه وأسلحته كما أشرت في مقالي السابق عن أسباب العدوان، هٰذا الأمر لم يستسغه كثيرون(٤٣). ناهيكم عن الرغبة الاستعراضيَّة والحلم بالعودة إلىٰ ساحة الصدارة والقطبيَّة... وهي كلها أمور تسير تحت سقف الرضا الأمريكي، لأنَّ أمريكا في وجه من وجوه المسألة ترىٰ أنَّها تحقق مصالحها بالسلاح الرُّوسي والجيش الرُّوسي من جهة أولىٰ وتورط روسيا في مستنقعات استنزافيَّة من جهة ثانية.

سادساً: المؤشِّرات السابقة كلها في كفة والمؤشِّر السادس في كفة. المؤشِّرات الخمسة السابقة كل منها علىٰ حدةٍ وكلها مع بعضها بعضاً تقود إلىٰ نتيجة واحدة هي أنَّ العدوان الرُّوسي ماض من جنون إلىٰ جنون حَتَّىٰ يحقق بوتين نزوعاته وطموحاته بغض النظر عمَّا إذا كانت أمريكا ستسمح بجزء منها أم لا، هو الجزء المتلق بمنازعة أمريكا السيادة العالميَّة، وهو أيضاً أمر سيغدو خارج السَّيطرة.

هنا يبرز السؤال: هل يعقل أن لا يكون رادع للعدوان الرُّوسي وتستمر الأمور هكذا حَتَّىٰ يقضىٰ علىٰ الثَّورة مهما بهظت التَّكاليف؟

---

(٤٣) . بعد شهر من كتابة هٰذا المقال، والمقال السابق في أسباب العدوان الرُّوسي زل لسان بوتين في مؤتمر صحافي أمام ١٤٠٠ صحافي في ٢٠١٥/١٢/١٨م عندما سألته إحدىٰ الصحافيات الرُّوسيات: «هل نحن قادرون علىٰ تحمل تكاليف التدخل العسكري في سوريا لدعم نظام الأسد؟»، فقال: «أستطيع أن أقول لكِ إننا نقوم بتدريب قواتنا علىٰ مناورات عسكرية علىٰ استخدام مختلف أنواع الأسلحة وبشكل واقعي وعلىٰ الأرض، ولم نكن لنجد ساحة للتدريب علىٰ هكذا مناورات بتكاليف أرخص».

في ظلِّ المعطيات السَّابقة كلها مجتمعة ومتفرقة، الحقيقة الأكيدة هي أنَّ الثَّورة السُّوريَّة وحدها القادرة علىٰ لجم روسيا وردع العدوان ودفعها لتجرَّ أذيال الخيبة. ولٰكن، للأسف لم تعد الثَّورة السُّوريَّة قادرة علىٰ شيء في يبدو من حقائق. منذ سلَّم الثُّوار زمام ثورتهم للخارج فقدوا السيطرة علىٰ أنفسهم، وفقدوا السَّيطرة علىٰ ثورتهم، وفقدوا أيَّ قدرةٍ حَتَّىٰ علىٰ المبادرة. وطالما أنَّ الأمور كذٰلكَ باقية فإنَّ السُّوريين لن يكون لهم أي دور أو قدرة علىٰ صوغ مستقبل سوريا القريب من أي جانب من الجوانب.

كلُّ ما يدور من تفاؤل كاذب لا يعدو كونه خداعاً مقصوداً أو غير مقصود، ولن يجعل الأمور أحسن حالاً أبداً، بل سيزيدها انفلاتاً وسيزيد ضياع فرص السُّوريين في تقرير مصيرهم. نحتاج إلىٰ معجزة ولٰكنَّهَا ليست مستحيلة مع كل ما يقف أمامها من صعوبات وعراقيل أفسح قواد الثَّورة لها المجال رويداً رويداً. فهل ستتحقق المعجزة؟

كانت الثَّورة السُّوريَّة بحد ذاتها معجزة، وكان استمرارها معجزة، بقيت المعجزة الأهم. والسلام.

الفصل الرابع عشر

وتلجأ الدول العظمى إلى الأمم المتحدة

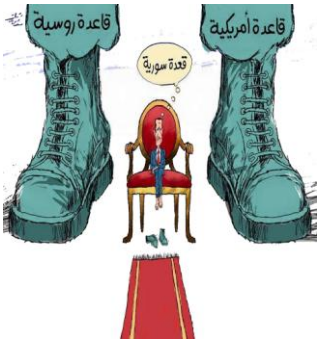
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

لا يضحكني شيءٌ مثلما تضحكني الدُّول العظمى عندما تلجأ إلىٰ الأمم المتحدة لتأخذ حقَّها من الدُّول الضَّعيفة أو الصُّغرى، أو لتدين دولاً ضعيفة أو صغرى، أو لتثبت حقَّهَا عليها أو لتستأذنها بضربها والاعتداء عليها في حين أنَّها ما فتئت تسرقها وتنهبها وتعتدي عليها وتقصفها(٤٤)...

وتضحكني الدُّول العظمى وهي تخلع علىٰ بعضها المنح والهبات والتَّفويضات الدُّوليَّة بالعدوان علىٰ الدول الصَّغيرة، وتصفق لنفسها وهي تنجح في اتخاذ قرارات في الأمم المتحدة بالإجماع أو شبه الإجماع بتأكيد حقِّهِا في الدِّفاع عن نفسها ضدَّ دولٍ صغيرةٍ عاجزةٍ عن محض التَّفكير في العدوان علىٰ دولةٍ صغيرةٍ مثلها مجاورة لها لا بعيدة عنها، وليس علىٰ دولة عظمى.

وتضحكني الدُّول العظمى وهي تتشدق بأنَّ ما تقوم به من عدوان إنَّمَا يتمُّ تحت سقف الشَّرعيَّة الدوليَّة وميثاق الأمم المتحدة وشرعيَّة الأمم المتحدة، في حين أنَّ ما تتصرف به عدوان سفيهٌ صفيقٌ علىٰ الشَّرعيَّة والشَّرعيَّة الدُّوليَّة وعلىٰ الأخلاق وعلىٰ القيم الجميلة كلها... يبدو عدواناً صريحاً وتجنيًّا صريحاً... ومع ذَلكَ يقولون إنَّهُ يتم تحت سقف الشَّرعيَّة الدُّوليَّة.

(٤٤) .كتب لهذا الفصل في ٢٠١٥/١١/٢٠م وهو مجموعة تعليقات ومقاربات نشرت قبل ذَلكَ وفي الفترة ذاتها في مواقع التواصل وتم استكمالها في لهذا المقال الذي نشر في الفترة ذاتها.

كتبت عبر العقود الثلاث المنصرمة عن كثيرٍ من الحالات في عددٍ من أبحاثي ومقالاتي وكتبي، ولا أعيد منها شيئاً لأنَّ الشَّواهد تولدُ كلَّ يومٍ. اليوم علىٰ سبيل المثال نحن أمام العدوان الروسي علىٰ سوريا وعلىٰ الشَّعب السُّوري الممتد منذ خمس سنوات تقريباً، وانتهى منذ شهرين إلىٰ العدوان السَّافر الصَّريح المباشر العلني بل المصور في الإعلام الروسي رسميًّا علىٰ إنه الحرب الرُّوسية للدِّفاع عن نفسها في سوريا، ومنذ أسبوع والسيد بوتين يكرر أمام وسائل الإعلام أنَّهُ يتحرَّك بموجب الشَّرعيَّة الدُّوليَّة وتحديداً تحت غطاء المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة الذي ينصُّ علىٰ حقِّ أيِّ دولةٍ عضو في الأمم المتحدة أن تدافع عن نفسها.

أولاً: طبعاً هو ليس مضطراً لهذه السَّفاهة التَّبريرية، مثلما لم يكن غيره من الدول العظمى مضطراً لمثلها فيما سبق. ولٰكنَّهَا صفاقة التَّحقير؛ تحقير الآخرين وإلزامهم بالاقتناع بأنَّهُم هم المخطئون ويستحقون التأديب.

ثانياً: لعنة الله علىٰ مثل هٰذه الشَّرعيَّة الأمميَّة التي تجعل من العدوان حقًّا شرعيًّا، وتجعل الدفاع عن النفس عدواناً يستحق التأديب.

ثالثاً: أساساً أساساً ما هٰذا البند الذي بموجبه تقصف روسيا في سوريا للدِّفاع عن نفسها علماً أنَّهُ لم يعتد سوريٌّ علىٰ أيِّ شيءٍ روسيٍّ في أيِّ بقعة من العالم قبل العدوان ولا حَتَّىٰ بعده، ما عدا الطائرة الروسية قبل أيام؟! وإذا نظرنا إلىٰ التَّدخُّل الرُّوسي محاربة الثَّورة منذ بداياتها صار الأمر أكثر تعقيداً.

سيخرج علينا آية الله حسن بوتين ليقول ما قاله آيه الله حسن نصر الله بأنَّهُ حارب السوريين قبل أن يفكروا في محاربته في لبنان. حسناً. هو هبل نظاميٌّ مسجَّلٌ في الطَّابو، لا يمكن قبوله ولو علىٰ مضض. ولٰكن نتجاوزه ونسأل:

نقول يا سيد بوتين إنَّكَ تحارب الدَّولة الإسلاميَّة، حسناً، فلماذا تقصف الجيش الحر في أرجاء سوريا التي لا يوجد فيها دولة إسلاميَّة؟

كتبت قبل بدء العدوان الروسي إنَّ التَّدخل الروسي القادم سيكون لقصف الثورة وضربها وليس لأيِّ شيءٍ آخر، لأنَّ هناك ستين دولة منها أربعون دولة إسلامية تحارب الدَّولة الإسلاميَّة، ولذلك فإنَّ مهمتها ستكون تتويج الأسد منتصراً علىٰ الثَّورة. ومع ذلكَ نتجاوز ولن نسأل عن قصف الجيش الحر المعتدل وفق تقدير المجتمع الدولي كلِّه، فقد أعلن بوتين أنَّهُ لا يوجد معتدلين في سوريا؛ إمَّا أسديين أو إرهابيين، كما يقول النِّظام تماماً، ولٰكن السُّؤال الآن:

. تحت أيِّ مادَّةٍ تقصف الشَّعب السُّوري المدنيِّ الأعزل؟

إن اعترف الروس ولن يعترفوا، سيقولون: بالغلط. تسعين بالمئة قصف بالغلط. علىٰ هٰذا التَّقدير فإنَّ نسبة خطأ المقاتل الأحول أقل من هٰذه الأخطاء الروسية. ما هٰذه الدَّولة العظمى التي نسبة صوابها الحربي لا تزيد عن عشرة بالمئة، ونسبة أخطائها تتجاوز التسعين بالمئة؟

يصعب تصديق أنَّها تخطئ. وهي حقًّا في ذٰلكَ لا تخطئ. هي سياسة الإبادة الشَّاملة، سياسة ضرب الحاضنة كما يقول النظام، كسر يد الجيش الحر بأهله، إحراجه بقتل أهله الذين يدافع عنه. يريد دفع المدنيين، كما يظن وكما فعل النِّظام بناء علىٰ الظنِّ نفسه، للضغط علىٰ أبنائهم، علىٰ الجيش الحر، بالمصالحة والعودة إلىٰ حضن الوطن.

طيب، تحت أيِّ صفةٍ وأيِّ بندٍ وأيِّ مادَّةٍ من شرعيَّة الأمم المتحدة يقوم الروس بمفاوضة المناطق السُّورية المحاصرة علىٰ الهدنة، ومفاوضة الجيش الحر علىٰ الهدنة؟

لنترك روسيا ونذهب إلىٰ فرنسا. فرنسا التي لم يتوقَّف عدوانها علىٰ المسلمين في إفريقيا وآسيا علىٰ مدار ما مضى من السنين، بهٰذه الشرعيَّة الكاريكاتيرية الدوليَّة وبغير شرعية دولية. حَشَدَت اليوم المجتمع الدولي لتفويضها بالدفاع عن نفسها إثر أحداث باريس منذ أسبوع.

طيب، هي أصلا وأساساً وتأسيساً تحارب في مالي وإفريقيا الوسطى وتشاد وسوريا من دون شرعيَّة دوليَّة فلماذا تحشد العالم هٰذا الحشد؟ ولماذا تريد ما يسمى زوراً شرعيَّة دوليَّة؟ هل سيغير ذٰلكَ في فهم الأمور شيئاً؟ هل سيغير ذٰلكَ في الحقيقة شيئاً؟

إنَّهُ منتهى الغباء والحمق والبلاهة والتفاهة معاً أن تظن فرنسا أو روسيا أو أمريكا أنهم يكسبون عدوانهم شرعيَّة أو يجعلونه حلالاً.

إنَّ عجز هٰذه الدول والشعوب عن الرد اليوم أو غداً أو حَتَّىٰ إلىٰ ما بعد مليون سنة لا يعطي الشرعية لما قامت وتقوم به أمريكا وروسيا وفرنسا وبريطانيا تحت غطاء ما يسمى زوراً شرعية دوليَّة.

ولذٰلك فإنَّ السؤال الذي لا يفتأ الغرب يطرحه ويروج له كل بضعة أشهر: لماذا يكرهوننا؟ لماذا الإرهاب يأتي إلينا؟ هو سؤالٌ زائفٌ، سؤالٌ تحريضيٌّ لكسب الرَّأي العام لشعوبهم وإيهام الشُّعوب الأُخْرَىٰ بأنَّهَا عدوانيَّة. السُّؤال الحقيقي الذي يجب أن يطرحه الفكر الغربيُّ هو: لماذا تأخروا في الثأر منا؟

اليوم إرهابيون اختطفوا أناساً في دولة مالي، الإفريقية يعني، وما هي إلا دقائق حَتَّىٰ أعلنت وزارة الدفاع الفرنسي عن إرسال كتيبة كوماندوس فرنسية إلىٰ مالي لتحرير الرهائن الذين ليس فيهم فرنسي ولا أوروبي واحد.

ما دخل فرنسا حَتَّىٰ ترسل قواتها إلىٰ مالي لتحرير الرهائن؟

أليس في هٰذا السلوك وكثير من السلوكات السابقة ما يفرض علىٰ عشرات أو مئات الماليين التفكير في الثأر من فرنسا والمصالح الفرنسية وحَتَّىٰ الشعب الفرنسي؟

من الذي يحرض الناس علىٰ الدفاع عن نفسها؟

من الذي يفرض علىٰ اللآخرين أن يثأروا لنفسهم؟

أن أقول أنا هٰذا الكلام سأتهم بالإرهاب أو الدفاع عن الإرهاب لأني مسلم، بل لأنَّ اسمي اسم مسلم. ولٰكنَّ هٰذا الكلام يقوله فرنسيون أقحاح أباً عن جدٍّ فجدٍّ فجدٍّ. ميشال أونفري علىٰ سبيل المثال قال في لقاء تلفزيوني علىٰ قناة فرنسيَّة إثر أحداث شارلي إيبدو بداية هٰذا العام ٢٠١٥م:

«لماذا نذهب إلىٰ بلدان المسلمين ونتدخل في شؤونهم ونقول لهم يجب أن تتبعوا فرنسا؟

لماذا نقتلهم في مالي، كما قتلنا قبل ذٰلكَ في بلدان شمال إفريقيا وعندما يدافعون عن أنفسهم نتهم بالإرهاب؟».

يتابع فيقول:

«المسلمون ليسوا مغلفين كما يظن الجميع في فرنسا وأوروبا والعالم، هم فقط يجتاحهم بعض الضعف، ورد فعلهم يكون عنيفاً وعادياً لأنَّ ما نفعله في بلدانهم أخطر بكثير من قتل ١٠ أشخاص، فنحن نقتل المئات منهم يومياً».

ثمَّ يتجه إلىٰ مقدم البرنامج الذي يتهم الإسلام ويقول له:

«سؤال أطرحه عليك: لماذا لا تذهب فرنسا إلىٰ إسرائيل أو الصين أو كوريا أو اليابان أو ألمانيا من أجل أن يتبع أهل تلك البلدان منهج فرنسا؟! ولماذا نختار دولاً ضعيفة مقل مالي وليبيا والنيجر وإفريقيا الوسطى؟!».

يتابع قائلاً: «المشكلة ليس مشكلة الإسلام بل هي مشكلة العنصرية، ويجب أن نعترف أنَّنا عنصريين في حادثة شارلي إيبدو. لماذا لم تقل الحكومة للصحافيين توقفوا عن الإساءة لرسولهم في حين قالت للرسامين نفسهم لما رسموا عن شار اليهود: إِنَّهُ عمل مخجل لكم اعتذروا لإسرائيل؟؟!!!».

ويتابع: «لماذا منعت مسرحية ديودوني من العرض؟ وقد أدين بتهمة معاداة السامية لأنَّ مسرحيته تستهزئ باليهود. لماذا؟ أجبني.

نحن مسيحيون نستهزئ باليهود والمسلمين معاً، لماذا لا أحد يعلق عندما يتعلق الأمر بالمسلمين، وعندما يتعلق الأمر نُتَّهمُ بمعاداة السامية؟

لا تكذبوا علىٰ أنفسكم وكأنَّنا مظلومون. ترسمون نبيهم الذي هو قدوتهم في أوضاع مشينةٍ، وندعي بعدها أنَّها حريَّة التعبير... لا، لا، معذرة، الأمور لا تسير هكذا، لأننا بهٰذه الطريقة سنكون شعباً منافقاً».

وفي الفترة ذاتها صحافي اسمه ساين يعمل في جريدة شارلي إيبدو أعلن احتجاجاً صارخاً ايضاً بالطَّريقة ذاتها علىٰ هٰذه الازدواجيَّة وقال: «أنا لست شارلي، لٰكن اسمي ساين، كنت أعمل في صحيفة شارلي، وفي عام ٢٠٠٩م رسمت كاريكاتير عن ابن ساركوزي عندما تحوَّل لليهودي لأسباب ماديَّة. طلب مني شارلي الاعتذار فرفضت فطردوني من العمل».

أرجو أن تلاحظوا هنا مدى تعقيد الموقف، الاعتراض ليس لرسم ابن ساركوزي بل لأن مادَّة الرسم تحوله إلىٰ اليهودية.

وفي أحداث باريس الأسبوع الماضي التقت الجزيرة أحد الباحثين في مركز دراسات بباريس في اليوم الثاني من الأحداث، فاتني ذكر اسمه، قال أيضاً: «ما حدث نتيجة طبيعية للسياسة الفرنسيَّة، السياسة الفرنسية هي التي تحارب

المسلمين في سوريا والعراق ومالي وأفريقيا الوسطى، ومن الطبيعي أن تكون ردة الفعل هٰذه».

وبعد ذٰلكَ كله تحشد فرنسا الأمم المتحدة لتحصل علىٰ شرعية في عدوانها، وتتساءل: لماذا يكرهنا المسلمون.

حقيقة إِنَّهُ سلوك محيِّر. لماذا يستندون إلىٰ هٰذه الشرعية الزائفة وهم يعلمون أنَّها لا قيمة؟ وأنَّها لا تقدم ولا تؤخر! وهم يقومون بما يريدون سواء وافقت الأمم المتحدة أم لم توافق! بل إنهم يفعلون ما يريدون ثمَّ يفكرون في مباركة مجلس الأمن.

مرة أُخْرَىٰ أكرر إِنَّهُ منتهى الهبل والغباء والحمق والبلاهة والتفاهة معاً أن تظنَّ فرنسا أو روسيا أو أمريكا أنَّهُم يُكْسِبُوَن عدوانهم شرعيَّة أو يجعلونه حلالاً. أو أنَّ ذٰلكَ ينجيهم من دفع الثمن والمحاسبة إذا أمكنت المحاسبة.

علىٰ أيِّ حالٍ، الحقُّ ليس عليهم، الحقُّ علىٰ شعوب تحكمها قيادات ترحب بالعدوان عليها، الحقُّ علىٰ شعوبٍ ترى خيانات حكامها الصريحة وتستطيع أن تنام:

عندما أعلنت روسيا أنَّهُ ستنتقم وتلاحق الإرهابيين الذين فجروا الطائرة خرج عبد الفتاح السيسي ليعلن ترحيبه بالضَّربة ، وراح الشَّعب السِّيسي يصرخ قائلاً: «كلنا وليد المعلم». وليد المعلم الذي قال قبل سنة من أراد أن يعتدي علىٰ سوريا لا مبرر له إلا بالتنسيق معنا. وفي اليوم التالي، أمس ٢٠١٥/١١/١٩م، أعلن البوق السِّيسي أحمد عبد الحفيظ علىٰ قناة الجزيرة قائلاً: «أي ملاحقة للإرهابيين في مصر من أي دولة مرحب بها...». فتجاوز وليد المعلم الذي طالب بالتَّنسيق قبل الضَّربة.

وفي اللقاء ذاته عندما سأله مذيع الجزيرة: «كيف استطاع عناصر الدَّولة الإسلاميَّة اختراق السُّلطات المصرية؟»، قال:

كيف دخلت لولا الدَّعم والتَّخطيط والتَّسليح العالمي، المخابرات الأمريكيَّة والإسرائيليَّة والفرنسيَّة وكاد يقول الروسية من أجل إسقاط الطَّائرة الروسيَّة.

علىٰ أساس أمريكا وإسرائيل وفرنسا ضدَّ السيسي ويريدون زعزعة نظامه!

وعلىٰ أساس أمريكا وفرنسا هي التي فجَّرت الطَّائرة الروسية بيد الدولة الإسلامية!

وعلىٰ أساس الدولة الإسلامية عميلة لأمريكا وإسرائيل وفرنسا وإيران والنظام السوري!

أوروبا في العصور الوسطى

وهي في حضيض التَّخلُّف، التَّخلُّف الذي لا يقارن بتخلفنا اليوم، لم يصدر عن قائد من قادتها، ولا عن شعب من شعوبها ما يصدر عن قادة العرب والمسلمين وشعوب العرب والمسلمين من تخاذل وهوان وذَلكَ وخيانة ومحاربة الذات والارتماء في حضن الأعداء.

الفصل الخامس عشر

خفايا زيارة بوتين إلى إيران

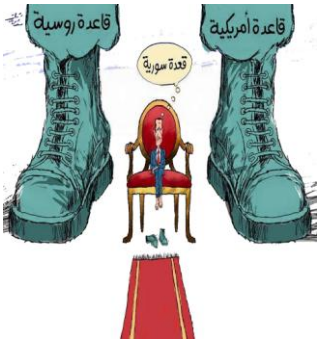
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

مرَّت زيارة بوتين إلىٰ إيران مروراً عابراً تقريباً في وسائل الإعلام. كل ما كان هو عرض الخبر علىٰ أنَّهُ زيارة عادية علىٰ هامش قمة الدول المصدِّرة للغاز التي تنعقد في طهران، أو أنَّها زيارة مهمة لبحث الشأن السُّوري وقضايا أُخْرَىٰ مشتركة، أو رُبَّما لبحث قضايا مشتركة وبحث الشَّأن السُّوري(٤٥).

هٰذه الزِّيارة ليست عاديَّة أبداً، ولا تقليدية أبداً، وتنطوي علىٰ مخاطر جدِّ كبيرة ستنعكس علىٰ المنطقة ورُبَّما العالم قاطبةً.

المؤكَّد الأوَّل في هٰذا اللقاء وهٰذه الزيارة أنَّ ثَمَّة معطيات لا يمكن أبداً تداولها بمختلف وسائل التواصل غير المباشرة وجهاً لوجهٍ، بل ولا يليق أن يحملها أن يبحثها حَتَّىٰ وزير الخارجيَّة مع الاعتراف بكفاءة ومهارة وزيري خارجيَّة روسيا وإيران.

المؤكد الثاني من خارج الزيارة هو أنَّهُ لا يوجد أي اختلاف بَيْنَ روسيا وأمريكا وإيران ومن لف لفيفهما في مسألة بقاء الأسد وتأهيل الأسد ونظامه. وإنما نمر علىٰ هٰذا التأكيد لنبني عليه حقائق أُخْرَىٰ متصلة بالزيارة، ولنقطع دابر

(٤٥) .كتب هٰذا الفصل في ٢٠١٥/١١/٢٣م ونشر فيالفترة ذاتها.

النقاش في أوهام الخلافات حول مستقبل الأسد والنِّظام السُّوري. على الرَّغْمِ من التصريحات المخالفة أو التي تبدو مخالفة لهذه الحقيقة.

فلماذا كانت زيارة بوتين وماذا دار بَيْنَ البوتينيين والخامنيئيين؟

لننطلق من أبرز تصريحين إثر اللقاءات صدرت عن الخامنئي وبوتين.

الخامنئي قال: «لا يحق لأحدٍ الحديث عن مستقبل الأسد الذي انتخبه الشَّعب السُّوريَّة بحرية وديمقراطية».

أمَّا الانتخابات الديمقراطية فهذه خرافة تزعم إيران أنَّها تصدقها، ومثلها حزب الله وأنصار النظام، وغير قليل من المخرفين، فالديمقراطية أصلاً والحرية لم تكن موجودة قبل الثَّورة، فكيف تكون انتخابات بحرية وديمقراطية في ظل تشرد أكثر من تصف الشَّعب السُّوري، والحرب التي تغطي البلاد؟!! خرافة لا يصدقها إلاَّ مختل التوازن النفسي والانفعالي.

وأمَّا أنَّهُ لا يحق لأحدٍ الحديث عن مستقبل الأسد فهذا مضحك جدًّا، يتكرر منذ السنة الأولى من الثَّورة بهذه الطَّريقة الكاريكاتيرية. إذا كان لا يحق لأحد الحديث عن مستقبل فلماذا إيران تقرر مستقبله؟ ولماذا روسيا تقرر مستقبل؟ لماذا لا يحق لأحد إلا إيران وروسيا الحديث عن مستقبل الأسد في سوريا؟

هذا على افتراض أنَّ أمريكا وغيرها على خلاف مع إيران وروسيا في مستقبل الأسد وخاصَّة بعد امتداد تنظيم الدولة الإسلامية إلى أوروبا. وهذا يعني أنَّهُ لم يذهب بوتين إلى إيران من أجل تأكيد مؤَكَّدٍ ومتفق عليه.

ڤلاديمير بوتين أوجز زيارته بقوله: «لا يمكن أن يكون الحل إلا بالطُّرق السِّلميَّة». وهذا تصريح أكثر من مضحك أيضاً. إذا كان الأمر كذلكَ، كما ما

فتئت روسيا تكرر منذ أربع سنوات، فلماذا تدخلت عسكريًّا؟ ولماذا تصّعد حملتها العسكرية؟ ولا نتحدث عن جرائمها في حق الشَّعب السُّوري المدني والبريء فتلك مسألةٌ لم تعد خافيةٌ وسبق الكلام فيها، ولٰكنَّ لا بُدَّ في هٰذا السياق من توضيح وتأكيد كذب روسيا في أنَّها تحارب تنظيم الدولة الإسلامية فهي تحارب الثَّورة والشَّعب السُّوري ولا تعنيها الدولة الإسلامية لأنه هناك عدة تحالفات تقوم بهٰذه المهمة.

حسناً، إذن لماذا هٰذه الزيارة؟

بغضِّ النَّظر عن الشَّكليَّات والبروتوكوليات والتَّقليديَّات هناك مسألةٌ خطيرةٌ تبرز بوضح في هٰذه الزيارة وهي تزويد روسيا لإيران بمنظومة صواريخ بالستية، الأمر الذي يثير تساؤلاً عريضاً علىٰ الأقل، وهو: في ظل التحالف الإسرائيلي الرُّوسي، كيف تقوم روسيا بتزويد إيران بهٰذه المنظومة الصاروخية؟ وفي الوقت ذاته: كيف يمكن أن نفهم التحالف الرُّوسي الإسرائيلي والتحالف الرُّوسي الإيراني؟!

مسألة تناولتنا سابقاً بتفصيل كاف فلا نطيل الوقوف عندها، وإنما ننتقل إلىٰ المسألة الأبرز والأخطر في هٰذه الزيارة. وهو الأمر الذي مر عرضاً في بعض التحليلات علىٰ أنَّهُ واحد من احتمالات أسباب الزيارة. وهنا يبرز الخلاف بَيْنَ أمريكا وروسيا في طبيعة التفكير لا في غايته ولا هدفه.

قبل يومين أعلن وزير الدفاع الفرنسي قائلاً: «إنَّ ضربات فرنسا الجويَّة توجع تنظيم الدولة الإسلاميَّة في سوريا، ولٰكنَّ الضَّربات الجوية وحدها لا تفكي، لا بُدَّ من تدخل بريٍّ، لا بُدَّ من وجود جيوش علىٰ الأرض». وقطعاً

لدابر التساؤلات قال: «ليس من الضَّروري أن يكون الجيش الفرنسي هو الذي سيتدخَّل علىٰ الأرض».

بدا أنَّهُ قطع دابر التساؤلات ولٰكنَّهُ في حقيقة الأمر فتحها علىٰ الآفاق المختلفة. ليست فرنسان وحدها من يفكر بهٰذه الطريقة، أمريكا مع تأسيس التَّحالف ضدَّ الدَّولة الإسلاميَّة هي التي أعلنت ذٰلكَ، وأعلنت كثيراً أنَّهُ لا تريد دخول أيَّ معارك بريَّة في المنطقة، ومثلها أوروبا كلها، لا أحد يريد أن يرسل قواته البرية لمواجهة الدَّولة الإسلاميَّة، ويؤمنون أنَّهُ لا يمكن أن تحسم المعركة إلا بجيش بريٍّ. وراحوا منذ ذٰلكَ الحين يبحثون عن حلٍّ لهٰذه المعضلة. إيران تتقدم بالعروض وأمريكا والغرب يرفضون ولا يرفضون، يرفضون علناً، ويسمحون سرًّا، ويبحثون عن جيش سني تحديداً حَتَّىٰ لا يتهموا بمحاباة الشيعة...

أمريكا تريد جيش عربي أو مسلم سني تحديداً لمواجهة تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة للخروج من دائرة الاتهام. ولا مانع لديها من أن تكون إيران هي رأس الحربة سرًّا كما هو الأمر في سوريا والعراق، ولذٰلك غضت أمريكا الطرف دخول الجيش الإيراني في الصِّراع في سوريا والعراق... ولٰكنَّهَا ما زلت تصرُّ علىٰ أن يكون قائد المعركة الظاهر هو جيش عربي سني أو مسلم سني غير عربي.

لا يوجد جيش عربي أبداً قادرة هٰذه المهمة، ولا أمل في أن يكون الجيش عربيًّا، ولذٰلك لم يبق إلا تركيا، ومنذ البداية أدركت أمريكا هٰذه الحقيقة وراحت تحرض تركيا تارة وتستفزها تارة وتهددها تارة ثالثة من أجل قيادة المعركة البرية. تركيا كانت تدرك مخاطر هٰذه المغامرة، ولذٰلك رفضت، واتخذت من الشُّروط التَّعجيزيَّة ما منعها حَتَّىٰ من المشاركة في المعركة. ولم تقطع أمريكا وفريقها الأمل

من توريط تركيا بهٰذه المعركة حَتَّىٰ كان تفجير أنقرة ا لدامي قبل نحو شهر، ووجدت تركيا نفسها في مواجهة لا بُدَّ منها، وخاصَّة بعد خروج تصريحٍ غير معروف الأصل يقول إنَّ تنظيم الدَّولة هو الذي قام بالتَّفجيرات.

بدأت أمريكا والدول العربيَّة بشحن تركيا والشَّارع التركي وتحفيزها وإغراءها واستفزازها حَتَّىٰ وجدت نفسها في قلب المعركة مباشرة، وتكاد تسير الأمور إلىٰ تفويض تركيا بالمعركة البرية.

هٰذا الأمر يرضي أمريكا والغرب مهما كانت نتائجه، سواء استقرت الأمور أو تعقدت المواجهات وتوسَّعت باتجاه إيران. وتركيا عضو في الناتو، في أي لحظة تفعل اتفاقية الناتو، وفي أي لحظة تعطل البنود بذريعة أو أُخْرَىٰ، حسب سياق الأحداث ووجهتها.

لٰكنَّ هٰذا الأمر لا يرضي روسيا، ولا يرضي إيران أبداً ولا بحال من الأحوال. لأنَّ قيادة تركيا المعركة البريَّة يعني حسم الصِّراع بطريقة أو بأُخْرَىٰ، وفي أسوأ الأحوال تحجيم الدور الرُّوسي وتوجيه طعنة نجلاء لكلِّ التَّضحيات والتَّدخلات الرُّوسية علىٰ مدار السَّنوات السَّابقة، وقطع دابر الدور الإيراني في سوريا علىٰ الأقل، وفي العراق نسبيًّا.

هنا كان لا بُدَّ من قطع الطريق سريعاً وسريعاً جدًّا علىٰ منح تركيا التَّفويض بدخول السَّاحة السُّوريَّة وربَّما السَّاحة العراقيَّة أيضاً لمواجهة الدَّولة الإسلاميَّة. ولا يمكن أن تكون تركيا غبية لتقبل أن تكون كلب صيد لأمريكا تقنص لها الأهداف وتسلمها لهم هكذا. هٰذه التضحية التركية لن تكون مجانيَّة، ومهما كان الثمن فإنَّهُ سيقطع دابر الوجود الإيراني في سوريا في أقل تقدير.

هنا توافقت التَّصورات والأحلام الرُّوسيَّة والإيرانيَّة وهي غير مختلفة أساساً وتأسيساً في هٰذا الموضوع، ولذلك جاءت الزِّيارة البوتينية بمظاهر متعدِّدةٍ ومضمونٍ واحدٍ هو المدد بالجيش الإيراني ليعمل مع الرُّوس تحت الغطاء الجوي الرُّوسي الذي يتوهمون أنَّهُ أبدى نجاعته في تغطية تقدُّم بعض مجموعات النِّظام في بعض المناطق، فكيف لو كان عشرات آلاف من الجيش الإيراني المنظم؟! لا شك في أنَّ النَّصر سيكون قريباً سريعاً، وتدفن الثَّورة السُّوريَّة وتكون سوريا كاملة في قبضة الرُّوس والإيرانيين، ولا خلاف بينهما في موضوع الهيمنة علىٰ سوريا فلكل منهما أهداف ومكاسب مختلفة عن الآخر... فلن يحدث أي تعارض بينهما. وأمريكا لن تعترض ولا إسرائيل ولا العرب.

وهكذا، كما يتوهمون، تكون الثَّورة قد قبرت واندفنت، وانتصر الأسد علىٰ الإرهاب، ويبدأ الحل السِّياسي الذي تنشده الدُّول العربيَّة وأمريكا وإسرائيل وإيران وروسيا وجزر موريشيوس.

هل سينجح تخطيطهم ومشروعهم؟

فرق بَيْنَ التَّوقع والتَّمنِّي والرَّغبة. يتوافق الجميع عندي هنا بأنَّهُم سيدفعون ثمناً باهظاً. صحيح أنَّ الفوضى كبيرة، والخونة كثيرون، واللصوص كثيرون، إلا أنَّ ذٰلكَ ذاته أحد مصادر تعقيد الأمور، وأحد أسباب إخفاق الجميع في مخطَّطاتهم اللامنطقيَّة.

الفصل السادس عشر

لكم الله أيها السوريون

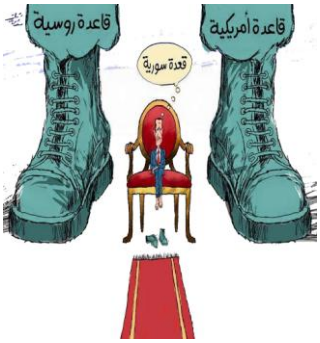
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

لك الله أيُّها الشَّعب السُّوري كل عهر البشريَّة ينصب فوق رأسك... تركيا تسقط طائرة روسيَّة فتقرِّر روسيا تصعيد عملياتها العسكريَّة ضدَّ السُّوريين(٤٦)!

ولاية سيناء تسقط طائرة روسيَّة في سيناء بمصر فتقرر روسيا تصعيد عملياتها العسكريَّة ضد السُّوريين!

إسرائيل تقصف مواقع في سوريا فيقرر النِّظام السُّوري الانتقام من السُّوريين وتصعيد العمليات العسكرية ضد السُّوريين!

الدولة الإسلامية تقوم بعملية في باريس فتتم ملاحقة السُّوريين في أرجاء أوروبا والعالم، وتتخذ الدول الأوروبية أشد الإجراءات لمنع وصول اللاجئين السُّوريين الهاربين من الموت، وتشن فرنسا غارات محمومة علىٰ السُّوريَّة وتتفاخر بقتل العشرات وتدمير البنى التحتية السُّوريَّة!

تنظيم الدَّولة الإسلامية يعدم مواطنا أمريكيًّا فتقوم أمريكا بضرب سوريا والسُّوريين!

تنظيم الدولة الإسلامية يعدم طياراً أردنيًّا فتقوم الأردن بشن غارات جويَّة غير مسبوقة علىٰ المدن السُّوريَّة؟

(٤٦) .كتب هٰذا الفصل في ٢٠١٥/١١/٢٣م ونشر فيالفترة ذاتها.

الدول العربية تريد من الثَّورَة السُّوريَّة العودة إلىٰ حضن الأسد، وكلما وجدت تململاً أو رفضاً انتقمت من الشَّعب السُّوري وحاربت السُّوريين الموجدين فيها وضيقت عليهم، وتحارب الجيش الحر وتمنع عنه لقمة العيش!!

الأمر ليس مصادفةً أيُّهَا السَّادة

في عملية باريس أول ما أعلنت عنه السلطات الفرنسيَّة أنَّها وجدت جواز سفرٍ سوريٍّ بالقرب من جثة أحد المهاجمين، وتداولت كلُّ وسائل الإعلام في العالم هٰذا الخبر الوحيد الذي ظلَّ يصدح في آذان البشرية يومين كاملين؛ أحد المنفِّذين سوري، سوري شارك في الهجمات... فل يبق ولم يعلق في أذهاب الشعوب جميعها إلا أنَّ سوريًّا شريك في الهجمات، أما الآخرون فلا داع لأن يعرفهم أحد، وإن عرفوا فيما بعد فلن يكترث أحد لجنيساتهم، سوري حمل الجريمة كلها.

قبلها بأيام كان تفجير الضَّاحية الجنوبيَّة في بيروت، بمثل تلك المصادفة المقصودة تماماً أوَّل ما أعلنوا عنه أنَّ سوريًّا هو أحد المنفذين، لا يهم من كان معه، المهم إظهار أنَّ الجريمة سورية، وبصمات سوريَّة...

حَتَّىٰ تدركوا حقيقة هٰذه التَّصوير وطبيعته الخبيثة المقصودة والموجهة تذكروا أنَّهُ في حين كان ركام مبنى التجارة العالمي يتصاعد منه الغبار، وفي حين انصهرت الطائرة ولم يبق منها قطعةٌ تزيد عن ثلاث سم[٢] أعلنت السُّلطات الأمريكيَّة أنَّها وجدت جواز سفر

السُّعودي الذي نفَّذَ الهجمات على مبنى التِّجارة العالمي؛ شيء ولا في الخيال، ولا في أفلام الخيال العلمي، ولا في أفلام الكرتون... جواز سفر مدرع مصفح عليه ألف حجاب وحجاب حَتَّىٰ نجا من الانفجار والانصهار.

كلامنا قسمان:

أولاً: الانتقام من السُّوريين مهما كانت الجريمة ومهما كان أطرافها غير سوريين.

ثانياً: تصعيد إظهار الدَّور السُّوري في عمليَّة إجراميَّة أو إرهابيَّة ولو افتراءً، لتكريس صورةِ السُّوري المجرم، الإرهابي، مثلما فعلوا في الفلسطينيين فترة طويلة من الزمن علىٰ الرَّغْمِ من فتح أبواب اللجوء أمامهم لإبعادهم عن فلسطين.

القسمان متلازمان، الثاني يشيطن السُّوريين ليفتح الباب أمام الأول، ويصبح الانتقام من السُّوريين واجباً إنسانيًّا تنشده الإنسانية والشعوب وتطالب به، ولا تبالي مهما حدث للسوريين... ويصبحُ قتلُ أيِّ سوريٍّ أمراً محبَّباً محبَّذاً.

الحقيقة أنَّ السِّرَّ الكامن وراء ذَلكَ هو ما كررته علىٰ مدار السَّنوات السَّابقة من عمر الثَّورَة في مقالات ولقاءات تلفزيونيَّة منشورة علىٰ مدار السَّنوات السَّابقة وهي أنَّ الغرب بدأ التَّعامل مع الثَّورَة السُّوريَّة بإلقاء الكرة الأمام لعدم وجودِ خياراتٍ بديلةٍ مناسبةٍ لهم لا للسُّوريين، فلا قيمة للسُّوريين في موازينهم.

فقط في الأشهر الأولىٰ من الثَّورَة كان ثَمَّة ارتباك وتصوُّرات بسقوط النِّظام سريعاً فوقت أمريكا وأوروبا وحَتَّىٰ روسيا وإيران موقف المترقب والمزاود علىٰ السُّوريين. ولٰكن منذ مضت الأشهر الخمسة الأولى من الثَّورَة اقلبت المواقف جميعاً وتحددت وعلىٰ أساسها تمَّ التَّعامل مع الثَّورَة السُّوريَّة طيلة السَّنوات السَّابقة، أي طيلة ما بعد نحو نصف السَّنة الأولىٰ من عمر الثَّورَة.

هٰذا الأساس هو أنَّهُ لا يوجد أفضل من الأسد بديلاً لهم. أي نظام حكم بعد الأسد لن يكون بمصلحة أحد من الغرب وروسيا وإيران، وتوافقوا جميعاً علىٰ ذٰلكَ، وإن اختلفت التَّصريحات نوعاً ما. فعلموا علىٰ مبدأ رمي الكرة إلىٰ الأمام قدر المستطاع علىٰ أمل الوصول إلىٰ الحلِّ المناسب لهم أو انهيار الثَّورَة. وراحوا ينغِّمون بالتَّناوب علىٰ هٰذا الحل، ويسربون الآراء والمقترحات بطرائق مختلفة لجس النَّبض وتحضير السُّوريين لهذه الاقتراحات.

ولٰكنَّ الأمور كانت دائماً تسير ضدَّ رغباتهم، وتولد دائماً مشكلات وعقبات أكبر من التوقعات، وكلمَّا رموا الكرة إلىٰ الأمام زادت الأمور تعقيداً وصعوبةً. والطَّريف أنَّهُم لم يتعلَّموا أبداً من الدرس وما زالوا يرمون الكرة إلىٰ الأمام.

منذ أواخر عام ٢٠١٢م وحَتَّىٰ مشارف جنيف٢ التقاني عدد من السياسيين الأمريكيين والأوروبيين من أكثر من دولة لاستبيان آفاق الوضع السُّوري والحلول الممكنة. كانت الفكرة التي أكررها للجميع دائماً: «لا

توجدُ مشكلةٌ، الحلُّ سهلٌ، أمريكا وأنتم من يعقد الحل، كلما امتدت المشكلة أكثر وجدتم أنفسكم أنتم لا نحن أمام تحدِّياتٍ وأخطارٍ أكبر من سابقتها... كل خطوة خاطئة ستعقبها ولادة مصيبة لكم أكبر من سابقتها».

هٰذا استنتاجٌ منطقيٌّ لا تنبؤيٌّ ولا رجمٌ بالغيب، وأعترف أنِّي كنتُ أقول ذٰلكَ ولم أكن أتخيل أن تصل الأمور إلىٰ هٰذا التعقيد بصورته الراهنة. كنت أتوقع أن تسير الأمور في هٰذا المسار تماماً، ولٰكن ليس بهٰذه المعطيات الخطيرة المعقدة.

ومع ذٰلكَ، هٰذه السلسلة لن تتوقف، ستظلُّ تسير علىٰ المبدأ ذاته من الانتقال من المعقد إلىٰ الأعقد فالأكثر تعقيداً وهكذا، ومن الخطير إلىٰ الأخطر فالأكثر خطورة وهكذا... ولن يكون أبداً ما تريده أمريكا ولا إسرائيل ولا روسيا ولا إيران ولا الأنظمة العربية التي لها النصيب الأكبر من التعقيد.

كان الحل سهلاً، صار أصعب، صار أعقد، صار أكثر تعقيداً... ولٰكنَّ الحلَّ حَتَّىٰ الآن ممكنٌ وإن كان مؤلماً لمن دمر سوريا وساهم في تدميرها، ولا أعني النِّظام بقدر ما أعني الذين أعاقوا انتصار وحاربوها بخبثٍ ودهاءٍ؛ من أنظمة عربيَّة وغربيَّة وغيرها. ومهما كان الحلُّ مؤلماً لهم الآن فإنَّهُ أقل إيلاماً من حل يأتي بعد أشهر، أو بعد ذٰلكَ.

ويجب أن يعلم الجميع ويتذكر أنَّ الحلول التي اقترحت كلها منذ عام ٢٠١١م حلول تحشيشية غير قابلة للتطبيق، وغير قابلة للتَّنفيذ، وغير قابلةٍ للنَّجاح. والوصول إلىٰ الحل السَّليم لا يحتاج إلىٰ ساحر ولا يحتاج إلىٰ معجزات. قليل من المنطق قد يكفي للوصول إلىٰ الحل.

الفصل السَّابع عشر

لماذا لا تحارب روسيا الدولة الإسلامية؟

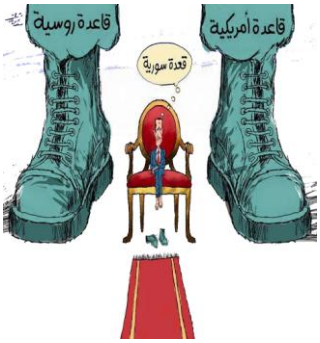
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

يخلط كثيرون بَيْنَ الهرج والمرج، بَيْنَ المزح والجد، بَيْنَ التَّعليل والتَّضليل، بَيْنَ الشَّائعات والحقائق... ويذهبون جادين إلىٰ أنَّ روسيا لا تحارب الدَّولة الإسلاميَّة لأنَّ الدَّولة الإسلاميَّة صنيعة النِّظام السُّوري، أو لأنَّهَا عميلة لإيران، أو لأنَّهَا صنيعة أمريكيَّة(٤٧)...

هٰذا هرج لا يقترب أبداً من الحقيقة. المؤكد الذي لا مفرَّ منه أنَّ روسيا لا تحارب الدَّولة الإسلاميَّة إلا عَرَضاً عابراً بَيْنَ الحين والحين لذر الرماد في العيون، في حين أنَّها أعلنت أنَّها ستدخل المعركة في سوريا لمحاربة الدَّولة الإسلاميَّة، وفي حين أنَّ أكثر من خمس وتسعين بالمئة من ضرباتها موجهة للشعب السُّوري؛ لمناطق ليس فيها دولة إسلامية، ولا جيش حر علىٰ الإطلاق. وأقل من نصفها ضدَّ الجيش الحرِّ بتسمياته المختلفة، بل أكثر الهجمات علىٰ الجيش الحر هي علىٰ التَّشكيلات المسمَّاة بالمعتدلة في المعايير الأمريكيَّة والأوروبيَّة والعربيَّة، أي التي أمامها أكثر من علامة استفهام في حقيقة الأمر.

فلماذا لا تشن روسيا غاراتها علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة وهي ذاتها التي أعلنت قبل العدوان أنَّها قادمة لإخراج الثعلب من ذيله وفعل ما عجزت عنه أمريكا

(٤٧) .كتب هٰذا الفصل في ٢٠١٥/١١/٢٦م ونشر في الفترة ذاتها مقالاً وعلىٰ مجتزءات في تعليقات صغيرة.

والتحالف الأمريكي في محاربة الدَّولة الإسلاميَّة والقضاء عليها في غضون ثلاثة أشهر؟!

أعود خطفاً إلىٰ ما كتبته في آب/ أغسطس الماضي ٢٠١٥م قبل العدوان، عندما كان الأمر محض تسريبات، قلت باختصار إنَّ روسيا لن تتدخل في سوريا إلىٰ للقضاء علىٰ الثَّورة وليس لأي شيء آخر.

هٰذه هي الحقيقة التي من خلالها يمكن فهم ماذا تفعل روسيا وماذا ستفعل ولماذا لا تكترث بالدَّولة الإسلاميَّة كثيراً.

التدخل الرُّوسي غير طارئ ولا جديد، لا أحد من المتابعين يجهل مدى وخطورة التدخل الرُّوسي في الثَّورة السُّوريَّة ودعم النِّظام علىٰ مدار نحو سنواتها الخمس المنصرمة، ولٰكنَّهُ كان في إطار المقبول منطقيًّا وسياسيًّا، كان في إطار السِّريَّة بمعنًى من المعاني مع وضوح التَّدخل والدعم غير المحدود للنظام السُّوري. ولٰكنَّهُ صار علناً يتم تناوله في الإعلام الرُّوسي علىٰ أنَّهُ الحرب الرُّوسيَّة للدفاع عن نفسها، وكبار السِّياسيين الرُّوس يعلنون ذٰلكَ ويتحدَّثون عن القصف الرُّوسي للأهداف في سوريا، ووجود جنود جيش روسيٍّ في سوريا.

لجأت روسيا إلىٰ مخرج تسويغي تتذرع به في عدوانها علىٰ سوريا والشَّعب السُّوري بأنَّ عنوان معركتها وعدونها هو أنَّها تحارب الإرهاب. وما الإرهاب في المنظور الرُّوسي؟

أعلن وزير الخارجيَّة الرُّوسيَّة سيرچي لاڤروف ذٰلكَ مرات عديدة بعبارات مختلفة ما بَيْنَ عدم وجود جيش حر، وعدم وجود معارضة معتدلة غير المعارضة الداخليَّة الشَّريفة التي تحصل علىٰ رخصة من النِّظام... قال ذٰلكَ في مناسبات عديدة وأماكن عديدة.

وبوتين ذاته شخصيًّا أعلن غير مرَّة أنَّهُ لا توجد معارضةٌ معتدلةٌ ومعارضةٌ غير معتدلةٍ: كل معارضة لنظام الأسد هي إرهابيَّة. قال ذَلكَ أكثر من مرَّةٍ وفي أكثر من مناسبة وفي أكثر من مكان منذ بدء العدوان وإلىٰ الآن آخرها الآن في هٰذه اللحظة في مؤتمره الصحافي مع الرَّئيس الفرنسي فرانسوا أولاند، ففي حين قال أولاند: توافقنا علىٰ أنَّهُ لا مستقبل للأسد في سوريا، علق بوتين بعد دقيقة قائلاً: نظام الأسد حليف روسيا في الحرب علىٰ الإرهاب!!! وينتهيان أخيراً إلىٰ ضرورة توسيع التَّحالف ضدَّ تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة!!!

بهٰذه الذريعة تضيع الطاسة في ظنِّ الرُّوس، كما هو الأمر في ظن الأمريكان والأوروبيين والأنظمة العربيَّة: هي الحرب علىٰ الإرهاب؛ أي واحد، أي مجموعة، أي منظمة لا ترضى عنها هٰذه الدَّولة أو تلك فهي إرهابيَّة ومحاربتها والقضاء عليها أمرٌ مشروعٌ وواجبٌ وضرورةٌ. ليست روسيا وحدها التي اتَّخذت هٰذه الذَّريعة الباهتة التَّافهة لتسويغ عدوانها كل الأنظمة تفعل ذَلكَ.

ولٰكن، مع ذَلكَ ظلَّ التَّدخل الرُّوسي فاقعاً ومتفارقاً عن الواقع بوضوحٍ شديدٍ ومحرجٍ. فالضربات الرُّوسيَّة أغلبها ضد المدنيين، وضدَّ الجيش الحرِّ المعتدل، وفي صراعٍ غير عادلٍ واضحٍ للجميع أنَّهُ بَيْنَ نظام طاغ جدًّا جدًّا علىٰ شعب أعزل... إلىٰ درجة أنَّ الغرب والأنظمة العربيَّة المتوافقة مع روسيا في الحفاظ علىٰ النِّظام من جهة المبدأ تجد حرجاً شديداً في إعلان ذَلكَ أو الدفاع عن الأسد والنِّظام السُّوريَّة علىٰ النحو الفاقع جدًّا الذي تقوم به روسيا... يقودون الأمور بذكاء غبيٍّ للوصول إلىٰ ما يريدون ولو علىٰ حساب دماء ملايين السُّوريين.

وينهض السؤال من جديد: لماذا لا تقوم روسيا بمحاربة الدَّولة الإسلاميَّة بجديَّة؟

قبل الإجابة على هٰذا السُّؤال لا بُدَّ من إلماحة إلىٰ طرف آخر يحارب الدَّولة الإسلاميَّة وهو التحالف الأمريكي والإشارة إلىٰ أنَّ هٰذا التَّحالف ذاته يبدو غير جادٍّ في حربه علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة. أقول يبدو غير جادٍّ ولا أقول لا يفعل. التَّحالف الأمريكي غير مستعجل في حربه علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة علىٰ الإطلاق مهما كانت الخسائر والضَّحايا من عربٍ أو غير عربٍ. التحالف الأمريكي يقوم بتجارب ويرسم استراتيجيات بعيدة المدى تضمن له وفق تصوره القضاء علىٰ الظاهرة كلها لا علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة وحدها، بل علىٰ الفكرة من جذورها، ويعمل علىٰ ذٰلكَ علىٰ مختلف المستويات: العسكرية، الفكرية، السياسية، النفسية، التربوية، الاقتصادية، الإعلامية، الإنترنت...

روسيا تدرك ذٰلكَ كله، وتعرفه جيِّداً. وعلىٰ هٰذا الأساس رسمت ومنهجت تدخلها وعدوانها علىٰ سوريا. نقطة الانطلاق التي انطلقت منها في عدم عدونها علىٰ الدَّولة الإسلامية، أسباب التدخل لها موضوع مستقل، هي أنَّها تدرك جيِّداً ان هناك تحالف دولي طويل عريض متفرغ لمحاربة الدَّولة الإسلامية، فلماذا تضيع وقتها في حرب تخوضها أكثر من ستين دولة، قبل أحداث باريس؟

روسيا معنيَّة بالدَّولة الإسلاميَّة مثلها مثل أي دولة غربيَّة أو نظام عربي. وهي شريك في الحرب عليها بطريقة أو بأخرى. ولٰكنَّهَا، بسبب ما يظنه السِّياسيون من ذكاء في تقديراتهم، ليسوا مضطرين لأي خسائر ولا تضحيات في

حرب يخوضها عنهم عشرات الدول. وإلا لماذا لم تشترك روسيا منذ سنة في التحالف الدولي الذي نشأ خلال ساعات وباشر حربه علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة خلال أيَّامٍ؟

روسيا كانت أول وأكثر من أعلن مخاوفه ورفضه وصول أي إسلامي أو حَتَّىٰ المسلمون إلىٰ الحكم في سوريا، وكانوا أشد وضوحاً في ذَلكَ من أي دولة في العالم، علىٰ لسان لافروف أكثر من مرة منذ عام ٢٠١٢م. وهٰذا يعني أنَّ الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة أولويَّة لروسيا أكثر من غيرها، علىٰ الأقل أمريكا والغرب لم يجدوا حرجاً في وصول الإسلاميين إلىٰ السلطة في مصر وتونس، وتعاملوا معهم برحابة، وإن كانوا يحفرون لهم سرًّا كما رأى الكثيرون.

روسيا لا تركز حربها علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة لأنَّ هناك من يقوم بهٰذه المهمة. وروسيا ترى أنَّ المعركة الحاسمة والمصيريَّة لها وفي حربها علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة والإسلاميين هي معركة تثبيت النِّظام. إذ ثبت النِّظام السُّوري وسحق الثَّورة فلن يكون للإسلاميين أي قدرة علىٰ الانتشار والتمدد، ومن ثَمَّ ستكون الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة والإسلاميين محض إجراءات شكليَّة بسيطة، ولن يطول الأمر كثيراً حَتَّىٰ يتمَّ سحق هٰذه الجماعات الإسلاميَّة مهما كانت قويَّة لأنَّ فضاء حركتها سيكون محسوراً محصوراً مغلقاً من كل الجهات.

هكذا تفكر روسيا، ولهٰذا السَّبب لا تحارب الدَّولة الإسلاميَّة بل لا تعتني كثيراً بالحرب عليها. وهٰذا تفكير ذكيٌّ في حقيقة الأمر لولا ما ينتظره من مفاجآت ليست في الحسبان، ولولا ما ينتظره من تسخين غير قابلٍ للتَّبريد في ظلِّ الزَّلازل التي تحكم المنطقة ويتعذَّر علىٰ أحدٍ ضبطها أو حَتَّىٰ التنبؤ بأزمنتها وأمديتها وآفاقها.

كانت لهذه الاستراتيجيات صالحة في بدايات الثَّورة وحَتَّىٰ نهايَّة العام الثاني منها، ولٰكنَّهَا بعد ذٰلكَ بدأت بالتعقيد علىٰ نحوٍ متسارعٍ أخرج الأمور عن السَّيطرة، الكثيرون يدركون حقيقة أن القطار خرج عن السِّكَّة، وأنَّها عاجزون عن ضبط الإيقاع أو وضح حدٍّ للأمور المتسارعة التعقيد، ولذٰلك تأتي سياساتهم وتصريحاتهم غالباً في سياق رمي الكرة إلىٰ الأمام. بعض يستطيع التحكم بجزئيَّةٍ هنا أو هناك، ولٰكنَّ الأمور ليست علىٰ ما يرام لأحدٍ أبداً. السَّاحر العملاق وحده يستطيع أن يوقف التدهور والتعقيد، ولٰكنَّ رُبَّما يحتاج كثيراً حَتَّىٰ يعيد الأمور ثلاث سنوات أو سنتين إلىٰ الوراء.

الفصل الثَّامِن عشر

الشراكة الإسرائيلية الروسية السورية

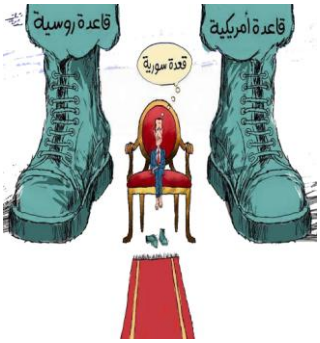
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

لنبدأ من الأحداث الأخيرة السَّاخنة قبل أن تبرد مثلما برد غيرها كثير من الأحداث والتَّصريحات والممارسات علىٰ مدار نحو خمس سنوات من عمر الثَّورة السُّوريَّة، من هٰذا القبيل تحديداً ومن قبل غيره غير قليل بحالٍ من الأحوال(٤٨).

نقطة الانطلاق هي التَّسريبات التي نشرها المحلل العسكري الإسرائيلي أليكس فيشمان في المقال الافتتاحي لصحيفة يديعوت أحرونوت الاثنين ٢٠١٥/٨/٣١م بأنَّ «روسيا وإيران، وبموافقة من الولايات المتحدة، اتَّخذتا قراراً استراتيجيًّا للقتال إلىٰ جانب الأسد لإنقاذه».

بموافقة الولايات المتحدة يعني من باب تحصيل الحال أنَّهُ بموافقة إسرائيل شاء من شاء وأبى من أبى، وأنكر من أنكر واعترف من اعترف مهما كانت الوقائع والأحداث التالية لذٰلك من كشف أو عدم كشف عن هٰذه الموافقة الإسرائيليَّة علىٰ التدخل الرُّوسي في سوريا.

الموافقة الإسرائيليَّة علىٰ التَّدخُّل الرُّوسي في سوريا يعني علىٰ نحو مباشر وصريح أنَّ المصالح الإسرائيليَّة مضمونة محفوظة محميَّة شاء من شاء وأبى من أبى، وأقر من أقر وأنكر من أنكر، مهما كان ظاهر ما

(٤٨) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٥/١١/٢٨م، ونشر في الفترة ذاتها علىٰ شكل تعليقات قصيرة علىٰ صفحتي في الفيس بوك والتويتر، وفي مقال واحد علىٰ موقع الهيئة السُّورية للإعلام.

سيكون من التَّدخُّل الرُّوسي ومدى ظهور المصالح الإسرائيليَّة في التَّدخل الرُّوسي في سوريا.

ضمان المصالح الإسرائيليَّة في التَّدخل الرُّوسي يعني أيضاً فيما يعني التَّخطيط المشترك، والتَّنسيق المتبادل بَيْنَ روسيا وإسرائيل في العمليَّات العسكريَّة الرُّوسيَّة في سوريا، ولا يستبعد أبداًا أن تكون هناك عمليات مشتركة: روسيَّة إسرائيليَّة في سوريا.

وما زلنا في إطار التَّحليل النظري للحدث نتابع فنقول: إذا كانت الأمور علىٰ هٰذا النحو فإنَّ إسرائيل تشارك روسيا في الدِّفاع عن الأسد والنِّظام السُّوري بامتيازٍ. من غير المنطقي أبداً أبداً أبداً أن تكون العمليات العسكريَّة الرُّوسيَّة لتحمي الأسد والنِّظام السُّوري وتكون العمليات العسكريَّة الإسرائيليَّة ما ظهر منها وما بطن من أجل إسقاط الأسد ونظامه أو حَتَّىٰ إحراجه.

كل هٰذا كان في الإطار النَّظري، التَّصوري، التَّحليلي. ولٰكنَّ الواقع جاء ليثبت ذٰلكَ خطوة خطوة وفكرة فكرة.

فجر يوم بدء العدوان الرُّوسي كان بنيامين نتن ياهو في موسكو للإطلاع علىٰ المشروع والمخطط الرُّوسي في عملياتها العسكريَّة في سوريا، وليكون شريكاً في الضغط علىٰ زر بدء العمليات العسكريَّة. وليعود إلىٰ فلسطين مزهواً بهٰذه العمليَّة. الدعم الرُّوسي وقبله السوفيتي لإسرائيل ليس طارئاً ولا جديداً علىٰ أيِّ حال، ولٰكنَّ نتن ياهو يريد أن يطمئن علىٰ أرض الواقع... طبيعتهم لا يثقون في أحد.

قبل شهر ونصف تقريباً من الآن، في ٢٠١٥/١٠/١٥م، أي بعد نحو عشرة أيام من بدء العدوان الرُّوسي أعلنت روسيا علىٰ لسان بوتين ولافروف إعلاناً بالتَّنسيق الرُّوسي الإسرائيلي في العمليات العسكريَّة وأنهما يقيمان غرفة عمليات مشتركة في مطار حميم في القرداحة السُّوريَّة. ولهذا الإعلان إعلان شبه رسميٍّ بأنَّ إسرائيل تقاتل إلىٰ جانب روسيا في الدفاع عن النِّظام السُّوري. ولا يمكن فهم الأمر إلا بهٰذا المعنى، كما أبنا تمهيداً، فمن غير المعقول أنَّ روسيا تدافع عن النِّظام السُّوري وإسرائيل تشاركها التَّنسيق والتخطيط من مطار القرداحة من أجل أن تسقط النِّظام السُّوري أو تحرجه.

بعد نحو عشرة أيَّام من ذٰلكَ أعلن الرُّوس علىٰ لسان بجدانوف والرئيس الرُّوسي أيضاً أن هناك تنسيق ومشاورات ومناورات مشتركة إسرائيليَّة روسيَّة في شأن العمليات العسكريَّة الرُّوسيَّة في سوريا للدفاع عن النِّظام السُّوري.

ولم يعد من الممكن لأحد الطعن أن حَتَّىٰ الشك أو حَتَّىٰ محض التَّفكير في الشَّكِّ في الشَّراكة الرُّوسيَّة الإسرائيليَّة في الدِّفاع عن النِّظام السُّوري مهما كانت حقيقة التَّرتيبات بَيْنَ روسيا وإسرائيل ومدى اشتراك النِّظام السُّوري في التَّفاوض أو الحوار في هٰذا الموضوع.

ولذٰلك فإنَّ الإجراء البوتيني أمس الجمعة ٢٠١٥/١١/٢٧م بتقرير زيارة إسرائيل الاثنين القادم لمناقشة المسألة السُّوريَّة لم يكن أبداً رد فعل علىٰ إسقاط الطائرة الرُّوسيَّة من قبل تركيا. واليوم ٢٠١٥/١١/٢٨م ردت عليه

إسرائيل، بتصريحٍ رسميٍّ علنيٍّ لا سريٍّ، بأنَّ أجواءها مفتوحة للطيران الرُّوسي لحماية النِّظام السُّوريِّ ومحاربة الإسلاميين والإرهابيين والمتطرفين أي الذين يريدون إسقاط الأسد أو النِّظام السُّوري.

صحيحٌ أن بوتين قرر فيما قرر استبدال المستوردات الزراعيَّة التركيَّة بمستوردات إسرائيليَّة علىٰ أساس أنَّ ذٰلكَ نكاية بتركيا إلا أنَّ هٰذا القرار للإغاظة لا أكثر من غير الممكن أن تسد إسرائيل الاحتياجات الزراعيَّة الرُّوسيَّة التي كانت تغطيها تركيا إلا علىٰ حساب علاقاتها التِّجاريَّة الأُخْرَىٰ التي لا يمكن أن تضحِّي بها أو تتركها من أجل عيون بوتين.

الزيارة البوتينيَّة إلىٰ إسرائيل في حقيقتها مقررة سابقاً وإن لم يتم الإعلان عنها. ومضمونها هو الذي أعلنت عنه الرئاسة الرُّوسيَّة بأنها من أجل مناقشة الوضع السُّوري. وهي المهزلة الحقيقيَّة تماماً. إسرائيل وروسيا تناقشان الوضع السُّوري وما يجب أن تسير عليه الأمور. روسيا التي تعلن بوضح لا لبس فيها أنَّها لن تسمح بالمساس بالأسد، ولا بالنِّظام السُّوري، وتتدخل بكل قوتها وأسلحتها لمنع سقوط النِّظام السُّوري تناقش الوضع السُّوري مع إسرائيل!!!

كيف يمكن أن نفهم ذٰلكَ في سياق ما تقدم من معطيات؟

من الصَّعب استعراض الأدلة لكثرتها، كل الحقائق تؤكد ضلوع إسرائيل في الدفاع عن النِّظام السُّوري دفاعاً ماجداً، بل أكثر المحلِّلين يذهبون إلىٰ أنَّ إسرائيل هي التي أثنت أمريكا عن موقفها من الثَّورة السُّوريَّة وسقوط الأسد.

حسبنا أن نتذكر من جديد تصريح رامي مخلوف الذي لا يجهله أحد في بعد نحو أسبوعين من بدايَّة الثَّورة عندما قال لقاء صحافي أمريكي: «أمن إسرائيل من أمن سوريا». ولنتذكر أيضاً ما نشرته صحيفة هآرتس الإسرائيليَّة في ٢٠١١/٩/٦م، أي بعد أقل من ستة أشهر من بدي الثَّورة قائلة: إنَّ حالةً من القلق تنتاب الأوساط الإسرائيليَّة من احتمال سقوط النِّظام السُّوري. مضيفةً أنَّ الكثيرين في تل أبيب يصلون من قلوبهم للرَّبِّ بأن يحفظ سلامة النِّظام السُّوري الذي لم يحارب إسرائيل منذ العام ١٩٧٣ رغم شعاراته المستمرة وعدائه الظاهر لها. بل لقد خلع الكثير من الإسرائيليين علىٰ بشار الأسد، وفق تقرير الصحيفة، لقب ملك ملوك إسرائيل.

وفي عدد ٢٩ حزيران/ يونيو ٢٠١١م نشرت صحيفة لو فيجارو الفرنسيَّة أنَّ إسرائيل طلبت من دول الغرب وقف حملتها الدبلوماسيَّة ضد النِّظام السُّوري خشية سقوط أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها النِّظام في أيدي حزب الله وحماس. وقالت الصحيفة إنَّ رئيس هيئة الاستخبارات العسكريَّة في الجيش الاسرائيلي أفيف كوخافي قد نقل الموقف الإسرائيلي خلال زيارته لمقر الأمم المتحدة في نيويورك قبل بضعة أسابيع. وبحسب دبلوماسي فرنسي فقد حذر كوخافي من أن ترسانة الأسلحة السُّوريَّة قد تُوجَّه إلى إسرائيل حال سقوط نظام بشار الأسد.

وفي ١٨ نيسان/ أبريل ٢٠١٣م، عندما كان النِّظام السُّوري يتهم الثَّورة بأنها مؤامرة إسرائيليَّة، وأنه لن يفاوض أحداً منهم لأنهم عملاء

لإسرائيل... كان بنيامين نتن ياهو يقوم بمهمة مبعوث لبشار الأسد في بريطانيا علىٰ هامش جنازة مارچريت تاتشر، فوسط الجنازة والعزاء كان يقوم بجولات ولقاءات مكثفة وسريعة مع قادة بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا وغيرهم طالباً منهم عدم السماح بوصول الأسلحة إلىٰ المعارضة الإسلاميَّة أو المتطرفة. ولا أحد يجهل أنَّ القادة الأمريكان يرون أن كل ثائر سوري مشروع إسلامي أو متطرف. ولكم أن تتخيلوا.

وفي العدد ٧٠٨٨٨، بتاريخ ١٥ أيار/ مايو ٢٠١٣م كان المقال الافتتاحي للتايمز البريطانيَّة تحت عنوان: إسرائيل تقول: يجب أن يبقى الأسد.

وكثيرون يؤكدون أن إسرائيل هي التي حالت دون قيام أمريكا بضرب النِّظام السُّوري في أزمة الكيماوي، بل لقد أكدت مجلة النوفيل أوبسرفاتور الأسبوعيَّة ٢٦ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٣ م هٰذه الحقيقة إذا قالت: «إنَّ ئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو استخدم نفوذه من أجل إقناع واشنطن بقبول الاقتراح الرُّوسي بتسوية مسألة الأسلحة الكيميائيَّة السُّوريَّة. لقد شرح إلى جون كيري خلال إحدى المكالمات الهاتفيَّة أنَّ موسكو تنوي فعلاً إجبار الأسد على التخلي عن ترسانته». بما يعيدنا إلى التَّنسيق الرُّوسي الإسرائيلي، هٰذا التَّنسيق الذي سبق التَّنسيق الرُّوسي الأمريكي، وسبق التَّنسيق الأمريكي الإسرائيلي، ليعلم من لا يريد أن يعلم أنَّ التَّنسيق الرُّوسي الإسرائيلي في حماية النِّظام السُّوري ليس جديداً. وربَّما كانت إسرائيل هي ا لتي اقترحت علىٰ روسيا هٰذا المشروع لتفادي الضربة الأمريكيَّة التي لم يكن

من المتوقع أن تكون أو ذاته أثر وقد قلت ذَلكَ في لقاء تلفزيوني قبل فكرة تسليم الكيماوي.

والذي يؤكد هٰذا المؤكد أدلة كثيرة لا واحدة، فقبل أزمة الكيماوي بنصف سنة تقريباً كتب إيلي بردنشتاين في معاريف الإسرائيليَّة بتاريخ ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٣م عن زيارة نتن ياهو إلىٰ موسكو قبل شهر من ذَلكَ: لماذا عاد نتن ياهو من موسكو منتعشاً؟ وأجاب علىٰ الفور علىٰ لسان نتن ياهو: «اتفقا علىٰ أنَّ الأسد أفضل لسوريا وأنَّ حكم الجنرالات في مصر أفضل من الأخوان». بل إنَّ الضمانات والدعم الرُّوسي لإسرائيل بلغ حدًّا مربكاً لإسرائيل، إلىٰ درجة أنَّ نتن ياهو سيخصص فصلاً خاصًّا من مذكراته لهٰذه الزيارة، عندما يكتب مذكراته.

من غير المقبول ولا الممكن وفق أيِّ تصورٍ منطقيٍّ أن لا يكون النِّظام السُّوري طرفاً ثالثاً في هٰذه المعادلة، لأنه ليس جزءاً منها وحسب بل هو طرف أساسي في تفاصيلها كلها. ويتعزَّز هٰذا الكلام تعزيزاً غير قابل للطَّعن أو الشِّكِّ أبداً بتصريح بنيامين نتن ياهو في الأول من كانون الأول ٢٠١٥م، أي بعد ثلاثة أيام من كتابة هٰذا المقال، بأنَّ إسرائيل قامت وتقوم بعمليات عسكريَّة داخل الأراضي السُّوريَّة الغاية منها منع تحولها إلىٰ جبهةٍ ضدَّ إسرائيل. أي إنَّ الطَّيران الإسرائيلي يشارك النِّظام السُّوري في قصف الجيش الحر والمدن السُّوريَّة، ولا يمكن أن يتم هٰذا من دون تنسيق، وربَّما بطلب من النِّظام السُّوري. ولا شكَّ في أنَّ هناك عمليات أُخْرَىٰ سريَّة عسكريَّة واستخباراتيَّة وخاصَّةً في الجبهة الجنوبيَّة.

هٰذا الاعتراف الذي أدلى به نتن ياهو أثار زوبعة في ساعاته الأولى ثمَّ اندثر من وسائل الإعلام كلِّها وتمَّ التَّعتيم عليه علىٰ نحو مدهش. كلُّ مساطيل العرب والمسلمين وجهوا هٰذا الاعتراف نحو الغارات الشَّهيرة التي تحدث عنها الجميع علىٰ مواقع للنِّظام، ومن منتهى الحماقة القول إنَّ نتن ياهو يعترف بالغارات التي تحدث عنها العالم أجمعه في ساعاتها بما فيها الإعلام الإسرائيلي، وفي ظل سياق صريح من التعاون الروسي الإسرائيلي وغرفة العمليات المشتركة في مطار حميم باللاذقية، هٰذا الاعتراف يؤكد قيام إسرائيل بمحاربة الثورة قبل العدوان الروسي بزمن.

ومع ذٰلكَ كله، ومع اشتهاره أكثره وغيره، ما زال النِّظام السُّوري وأنصاره يصدعون الرؤوس بالمقاومة والممانعة واتهام الثَّورة بأنها مؤامرة إسرائيليَّة. كلمة مدهش أعجز عن تصوير مدى الدهشة.

الفصل التاسع عشر

روسيا تدخل مرحلة الجنون

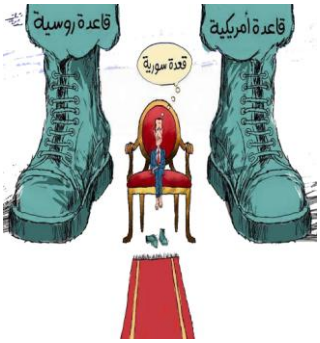
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

حكاية العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا فيها الكثير من التَّفاصيل والمفاصل غير المفهومة علىٰ الرَّغْمِ من كل ما قيل وسيقال عن هٰذا العدوان. وستظل الكثير من أسرار هٰذا العدوان طي الكتمان حَتَّىٰ يأذن الله بالإفراج عنها(٤٩).

كان يكفي روسيا لتخسر رصيدها في سوريا ما قامت به في السنة الأولى والثانية من الثَّورة من تسليح وأكثر من ڤيتو علىٰ الرَّغْمِ من الڤيتو هو خير ما فعلته روسيا...

كان يكفي روسيا لتخسر رصيدها في سوريا وفي كثير من بلدان العالم الإسلامي حملة التَّسليح غير المسبوقة للنظام السُّوري علىٰ مدار ما سبق من الثَّورة علىٰ الرَّغْمِ حظر السِّلاح وغير ذٰلكَ من ملابسات غير قليلة.

كان يكفي روسيا لتخسر رصيدها في سوريا وبين الشعوب الإسلاميَّة حملة الدفاع الشرسة التي قادها لاڤروف عن النِّظام السُّوريَّة وطائفيَّة النِّظام وتدخل حزب الله حَتَّىٰ أطلق علىٰ لاڤروف لقب وزير الخارجيَّة السُّوريَّة.

لم تكتف روسيا بكل ذٰلكَ بل أوصلت الأمور إلىٰ المدى الأقصى بل الأقصى من الأقصى بالتَّدخل بل بالعدوان علىٰ الثَّورة وعلىٰ الشَّعب وعلىٰ المقدرات السُّوريَّة ووصلت في الفترة الأخيرة إلىٰ مرحلة الجنون والهستريا في

(٤٩) .كتب هٰذا المقال في ١٢/٢٤/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها علىٰ شكل تعليقات قصيرة علىٰ صفحتي في الفيس بوك والتويتر، وفي مقال واحد علىٰ موقع الهيئة السُّورية للإعلام.

عملياتها العسكريَّة وتهديداتها وتصريحاتها التي لا يمكن إدراجها إلا في باب الجنون النِّظامي أو رُبَّما جنون العظمة وكلاهما جنون علىٰ أي حال.

لا أحد يمكن أن يخمن ما إذا كانت روسيا ستدخل مرحلة الجنون الهستيري لهٰذا أم لا، ولذلك فمن الصعب القول إن دخولها لهٰذه الحالة الهستيريَّة كان لهٰذا السبب أو ذاك.

نحن أمام خطين متوازيين من الأسباب. الخط الأول تمثل في قيام تركيا بإسقاط الطائرة الرُّوسيَّة، والخط الثاني هو العجز الرُّوسي عن تحقيق أيِّ تقدُّم واضحٍ علىٰ الأرض.

الأمران كلاهما وضعا روسيا في موقف حرج ومربك فروسيا هي الدولة العظمى التي تناطح أمريكا علىٰ زعامة العالم ولٰكنَّهَا بدت لها الأمور معقَّدة وصعبة أكثر بكثير جدًّا مما توقعته أو حسبت حسابه.

شعرت روسيا بأنَّ كرامتها قد مرغت بالتراب فتركيا تتجرأ وتسقط لها طائرة حربيَّة وهٰذا أمر غير مسبوق لروسيا، وهي أول مرة تتعرض فيها لهٰذا الموقف الحرج، وفي الوقت ذاته عاجزة عن فتح جبهة حربيَّة مع تركيَّة لأنها لا تدرك عواقب هٰذه الحرب ولا نهايتها ولا مدى تعاطف الناتو أو تدخله في مؤازرة تركيا العضو المؤسِّس في حلف الناتو. هٰذا الموضوع زاد في حرجها وجنونها وهستيريتها فزاد استعارها وزادت طلعاتها الجويَّة أضعافاً وراحت تتصرَّف في السَّماء السُّوريَّة بوحشيَّة ودمويَّة واضحة وراحت تقصف يميناً وشمالاً وفي كل الجهات والمناطق في حرب هي ما تستحق أن يسمى سياسة الأرض المحروقة؛ إبادة الحجر والشجر والبشر... وتكذب في تقاريرها وصورها الواضحة الكذب مثلما فعلت

عندما قصفت سيارات الإغاثة وصورتها ونشرتها في الإعلام الرُّوسي قائلة إنها صهاريج تهريب النفط التي تشتريها تركيا من داعش.

كثيرون قالوا إنَّ إسقاط الطَّائرة هو الذي زاد التَّدخل الرُّوسي واستقدام الجيش والبارجة والصَّواريخ... وهٰذا وهمٌ لا أساس له من الصِّحَّة فالصَّواريخ التي يحتاج وصولها وتركيبها إلىٰ أسبوع علىٰ الأقل وكذٰلكَ البارجة أعلن عنه بعد أقل من أربع وعشرين ساعة فهل هٰذا إعجاز أم سحر أم أنَّ الأمور مرتبة قبل إسقاط الطَّائرة ولا علاقة له بإسقاط الطَّائرة؟

ومع ذٰلكَ فإنَّ هٰذا الحشد لم يكن، في تصوري، لأنَّ روسيا كانت تتوقع هٰذا الإخفاق في تحقيق نتائج سريعة علىٰ الأرض. كانت الإدارة البوتينيَّة تتوقع أنَّها بمحض إعلانها التَّدخل ستتغير المعادلات علىٰ الأرض، بل إنَّ الإعلام الرُّوسي التلفزيوني والصحافي كان يتحدث عن ملاحم من الانتصارات التي يحققها العدوان الرُّوسي توحي بأنَّ المعركة منتهيةٌ ولم يبق إلا استراحة المقاتلين، مثلما كان يفعل إعلام النِّظام السُّوري عند الحديث عن انتصارات الجيش الأسدي الباسل، كان السُّوريون الذين يتابعون هٰذا الإعلام ويصدقونه يتخيلون أنَّ الجيش سيقترب من حدود الصِّين بعد أيام إذا استمر في هٰذه الانتصارات...

ولذٰلك لم يكد يمضي شهر علىٰ بدء العدوان واتضاح معالم الصُّعوبات التي تنتظر هٰذا التَّورط الرُّوسي، مع رافق ذٰلكَ من تهكُّم وسخرية في وسائل الإعلام العالميَّة علىٰ هٰذه الدَّولة العظمى التي تناطح أمريكا لاقتسام النفوذ العالمي... حَتَّىٰ بدأت روسيا تشعر بالتَّوتر والقلق والانهيار النَّفسي الدَّاخلي خوفاً من هزيمة لم تكن في الحسبان. ولذٰلك رُبَّما يكون اختراق الأجواء التركيَّة

بعد التَّحذيرات والتَّهديدات التُّركيَّة المتكرِّرة أمراً مقصوداً كي تُوْجِدَ روسيا مخرجاً لشيء ما تجلى بداية بازدياد الوحشيَّة والهمجيَّة.

بغضِّ النَّظر عمَّا إذا كان سلوكاً روسيًّا مقصوداً لهٰذا الأمر أم لا فإنَّهُ سلوكٌ مقصودٌ بالمطلق أراد بوتين من خلاله التَّصرُّف مثل الإمبراطوريَّة الأمريكيَّة تحلق طائراتها في كل الأجواء بحريَّة ولٰكنَّهُ بوجئ برد فعل لا يريده ولا يرجوه ولا يستطيع الردَّ عليه. فكان رد الفعل الرُّوسي هو الانتفاض للهيبة بتصعيد العمل العسكري في سوريا والتَّصريحات الطنانة التي توريط روسيا ذاتها علىٰ رأسها أنَّ الموقف الرُّوسي سيكون هو هو مهما كانت نتائج فحص الصندوق الأسود، وانتهى الأمر بإعلان تلف الصندوق الأسود وهو الذي لا يتلف.

مثل هٰذا التَّصريح ذاته كان تصريح ميخائيل بچدانوف نائب وزير الخارجيَّة الرُّوسي لوسائل الإعلام اليوم في ٢٠١٥/١٢/٢٤م عندما قال قوله الذي لا يمكن فهمه في أي سياق منطقي أو سياسي متزن، قال: «حَتَّىٰ ولو تواصلت الأطراف السُّوريَّة إلىٰ اتفاق فإنَّ العمليَّات العسكريَّة الرُّوسيَّة في سوريا لن تتوقف...». وفي اليوم ذاته وصل الجنون الرُّوسي مداه حَتَّىٰ هٰذا اليوم باستهداف الأفران والمدارس والأحياء المدنيَّة التي لا وجود فيها لأي جيش حر أو تشكيلات عسكريَّة من أي نوع.

الجنون الرُّوسي جاء مع قرار التَّدخل. ومع قرار التَّدخل كانت النوايا المبيتة كما أشرت قبل العدوان هي استهداف التَّشكيلات الثَّوريَّة المقاتلة وليس محاربة الدولة الإسلاميَّة كما زعموا.

إن محض قيام روسيا بمحاربة الثَّورة وحاضنة الثَّورة بهٰذه الصراحة والوضوح أمر لا يخلو من الجنون. ولٰكنَّ روسيا أبت إلا أن يزداد جنونها يوماً بعد يوم في

طريق الحرب والتَّهديدات والتَّسريبات؛ ما بَيْنَ اليوم واليوم يطالعنا الرُّوس بتسريبات أو تهديدات بحرب إبادة شاملة حَتَّىٰ توقع الكثيرون إمكان لجوء روسيا إلىٰ استخدام السِّلاح النووي.

إنَّ ما تستخدمه روسيا من أسلحة ضدَّ الشَّعب السُّوري ينم عن حقد غريب عجيب علىٰ الشَّعب السُّوري. كل ما يقال عن مصالح روسيَّة في سوريَّة ليس كافياً لهذه الممارسة الدمويَّة والعدوان السَّافر علىٰ شعب يبعد عنهم مسافات ومسافات. كل ما يقال عن قاعدة روسيَّة وحرص عليها لا قيمة له ولا أساس... والثروات الطبيعيَّة في سوريا لا تستحق كل هٰذه المغامرة والورطة في سوريا. ولا يجوز أن يقارن ذَلكَ بالتَّدخل الأمريكي في العراق لحماية المصالح الأمريكيَّة فالفرق هائل بينهما.

علىٰ أي حال، هٰذا الجنون الرُّوسي علىٰ الرَّغْمِ مما يبدو عليه من شدة إلا أنَّهُ سيزداد أكثر وأكثر مما يتخيل الكثيرون طالما أن المعطيات الراهنة قائمة، وكل المعطيات الراهنة تشير إلىٰ الرضا عما تقوم به روسيا من قبل أمريكا وإسرائيل وإيران والدول العربيَّة. أي إنَّ استمرار الصمود السُّوري سيزيد جنون الرُّوس أكثر وسنشهد مجازر مثل مجازر النِّظام وأكثر في الأيام والمراحل القادمة. في الأيام القادمة أي القريبة وفي المراحل القادمة لأنَّ المأساة السُّوريَّة لن تنتهي في أيام ولا شهور ورُبَّما تمتد علىٰ مساحة السنين.

لا وجد في الأفق ما يدل علىٰ إمكانيَّة الحسم أو السماح به، مع خضوع قيادات الثَّورة المسلحة للقرار الخارجي الشريك لروسيا في العداون علىٰ سوريا. إسرائيل وأمريكا يطبخون لسوريا الحلول علىٰ نار هادئة علىٰ ظنهم وكلما طبخوا حلاً وجدوا أنفسهم أمام معضلة ما صنعت أيديهم، وروسيا هي الأداة التي

تساهم في إنضاج الحلول. الحل الوحيد المشترك هو تأهيل النِّظام في حال أي إخفاق لأي طبخة سياسيَّة يطبخونها. ولأنَّ الطبخات كلها تبوء بالإخفاق يسير الجميع باتجاه الحفاظ علىٰ نظام الأسد والأسد معاً. ولهٰذا ما يستدعي شوي السُّوريين وإحراقهم حَتَّىٰ يمكن تطبيق هٰذا الحل. ولهٰذا يعني مزيداً من الجنون الرُّوسي.

والسُّؤال الذي يبقى دائماً في مثل هٰذه الأحوال: هل سينجحون؟

لن ينجحوا فيما يريدون ولن ينجحوا فيما لا يريدون وستولد مفاجآت خارج التَّوقعات تزيد في تعقيد الأمور أكثر وأكثر، وتؤدِّي إلىٰ نتائجَ مربكةٍ للجميع.

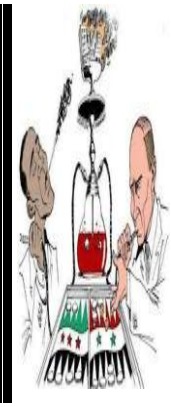

الفصل العشرون

روسيا من الجنون إلى الهلوسة

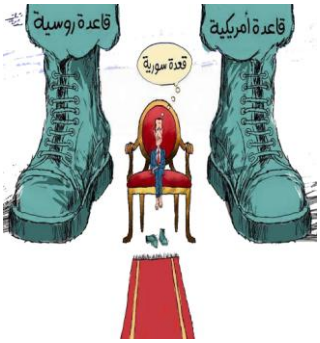
قاعدة روسية
قاعدة أمريكية
قعدة سورية

بعد أن حطمت سوريا بقيادة النِّظام الكثير من الأرقام القياسية العالمية ودخلت التاريخ من أوسع أوسع أبوابه في كل مشين ومما يندى له الجبين يسجل النِّظام اسم سوريا أيضاً من جديد علىٰ لائحة الدولة الوحيدة في العالم(٥٠).

ففي إنجاز سوري غير مسبوق ورُبَّما لا يكون ملحوقاً سوريا هي البلد الوحيد في العالم الذي فيه قواعد عسكريَّة روسيَّة وقواعد عسكرية أمريكية. بالعالم كله؛ إما قواعد أمريكيَّة أو قواعد روسية، ولٰكن في سوريا فقط روسية وأمريكية. واضحك إذا قدرت أن تضحك.

هٰذه المفارقة المعضلة وحدها تحتاج كونسرتو تحليلٍ سياسيٍّ كونيٍّ حَتَّىٰ يسيغ هضمها، إن هضمت. هٰذه المعضلة ليست مشكلتنا هنا علىٰ أي حال وإن كانت جزءاً من المشكلة علىٰ نحوٍ عام وخاصَّة في التَّشابك مع الموقف والسُّلوك الرُّوسي.

هٰذا الموقف الرُّوسي والسُّلوك الرُّوسي وحده أيضاً مسألة معضلة تكاد تكون عصية علىٰ الفهم من كل نواحي المنطق العقلي السِّياسي والاستراتيجي والتكتيكي والتَّاريخي والأخلاقي...

(٥٠) . كتب هٰذا المقال في ٢٠١٦/١/٢١م، ونشر في الفترة ذاتها علىٰ شكل تعليقات قصيرة علىٰ صفحتي في الفيس بوك والتويتر، وفي مقال واحد علىٰ موقع الهيئة السُّورية للإعلام.

بغضِّ النَّظر عن كل ما سبق من تناقضات والدُّخول في مرحلة الجنون بسبب تلاشي كل الهمجيَّة والدَّموية الرُّوسية في إركاع الشَّعب السُّوري، تنتقل روسيا اليوم من مرحلة الغضب المجنون أو جنون الغضب إلىٰ مرحلة الهلوسة الهستيريَّة... شيء ما من الهبل علىٰ الهلوسة علىٰ عدم القدرة علىٰ التركيز علىٰ كومة أشياء من هٰذا القبيل، فاليوم ٢١ كانون الثاني ٢٠١٦م، في خطوة غير مسبوقة تاريخيا في المنطق ولا في السِّياسة ولا في التفكير ولا حَتَّىٰ في العبث أعلنت روسيا أنَّها ستشكِّل وفد معارضة لمفاوضة النِّظام إذا لم يسمع الوفد المعارض كلامها أو إذا لم يذهب إلى المفاوضات... وفق الشَّروط الرُّوسيَّة الأمريكيَّة طبعاً. أي القبول بما تمليه روسيا لاحقاً وسابقاً؛ سابقاً بإضافة معارضين مزعومين من أنصار النِّظام إلىٰ وفد المعارضة المفاوض، ولاحقاً بالقبول بما تقرِّره روسيا من قرارات علىٰ هيئة مقترحات.

لا نعرف إذا كان الوفد الذي ستشكله روسيا سوريًّا أم سوريا؟

الأعضاء الذين تريد فرضهم علىٰ المعارضة كلهم يجب أن يكونوا في وفد النِّظام حقيقةً لا تجنيًّا، وهٰذا في أحسن حسن الظَّنِّ يدخل في باب التَّحشيش النِّظامي.

أن تفرض روسيا ممثلين لها في وفد الثَّورة فهٰذا تهريجٌ نظامي وتحشيشٌ نظاميٌّ في أحسن حسن الظن كما أسلفت، ولٰكنَّهُ يتجاوز ذٰلكَ إلىٰ ضرب من الهلوسة الهستيريَّة غير المسبوقة في عالم السِّياسة وغيره من العوالم... يعني كيف يمكن أن يكون ضمن المعارضة ممثل للروس المحتلين، أو للنِّظام الذي ستفاوضه المعارضة؟

هٰذا يعني أنَّهُم لا يريدون حلاً بحال من الأحوال

الأدهى من ذٰلكَ والأكثر تحشيشاً والأكثر تهريجاً والأثر هلوسة وهستيرية أنَّ روسيا قد تشكل هي وفداً يمثل الثَّورة ليفاوض النِّظام في جنيف. يعني الذي يعلب معه حاله منطقيٌّ ومتَّزنٌ أكثر من من أن يشكِّل الرُّوس وفد الثَّورة لمفاوضة النِّظام. شيء لا يصدق. هل بلغ هزال التَّفكير الرُّوسي هٰذا المبلغ.

لو كانوا يفعلون ذٰلكَ سراً كما تفعل أمريكا وأذنابها مثلاً فيمكن أن تبلغ، ولكن أن يكون في العلن فهذا لعمري ما لا يمكن أن يكون إلا تحشيشاً وعربدة مع فقدان العقل وانهيار التوازن.

أصلاً وجود أي ممثل لروسيا أو النِّظام في وفد المعارضة يُفقد وفد المعارضة الشَّرعية ويفقده القدرة علىٰ الالتزام بما يقرِّر. يعني من الآخر: إذا رفض وفد المعارضة الذهاب إلىٰ جنيف وشكلت أو دعماً موسكو وفداً آخر فمن سيكون ومن أين سيكون ومن سيعترف به، وماذا يمكن أن يفعل مهما كانت النتائج التي سيحصلها؟

الفكرة ذاتها مضحكة إلىٰ حدِّ التَّشنج العصابي؛ تخيلوا أن يكون وفد المعارضة الذي سيفاوض النِّظام مؤلفاً مثلاً من وليد المعلم وبثينة شعبان أو من ينوب منابهم؟

علىٰ ماذا يفاوضون أنفسهم؟

مشهد لا أستطيع أن أتخيله إلا في أفلام كرتون توم وجيري تحديداً.

ولا يتوقف الأمر فبلاهة الرُّوس لا حدود لها فيما يبدو، فهي كل يوم قادرة علىٰ أن تصدمنا بما لا يمكن تخيله ولا توقعه، فأمس ٢٠١٦/١/٢٠م أعلنت موسكو أنَّ «أيَّ حكومة سوريَّةٍ مقبلةٍ يجب أن تقبل وجود القاعدة العسكريَّة والمقاتلات الرُّوسيَّة».

شيء ولا في الخيال.

طيب وكيف تريدون من الشَّعب الذي تقصفونه بقذارةٍ ودمويَّةٍ غير محدودةٍ أن يقبل ذَلكَ أو يقبل بأيِّ سلطةٍ تقبل ذَلكَ؟

إذن وفق المنظور الرُّوسي والتكتيك والاستراتيجيا الرُّوسيَّة لم يبق إلا أن يبقى الأسد بسلطاته وصلاحياته أو الاحتلال حصريًّا، ولا حل ثالث.

هٰذا هو واقع الأمر حرفيًّا ومن دون أدنى شك أو لبس، فمنذ عشرة أيام تقريباً، وتحديداً في ٢٠١٦/١/١٢م أعلن بوتين نفسه «أنَّ روسيا ستمنح الأسد اللجوء في روسيا». «هٰذا إذا خسر الانتخابات». هكذا قال: إذا خسر في الانتخابات. وهو لن يخسر في الانتخابات.

يعني ترشح الأسد ونجاحه في الانتخابات شرط روسيا للحل السياسي.

عدم ترك الأسد للسُّلطة وترشُّح الأسد لانتخابات الرِّئاسة القادمة شرطان روسيان علىٰ رأس كل شروطها.

إذن أين الحل السياسي؟

وما هو هٰذا الحل السياسي؟

الهلوسة الرُّوسية، ويبدو أنَّها سلوك أكثر من عادي عند المستبدين أعداء الحق والوجدان، لا تتوقف عند هلوسات تشكيل وفد باسم الثَّورة

ليفاوض النِّظام، ولا تنظيم مفاوضات ببرنامج واحد هو اعتراف الثَّورة بأنها مؤامرة وخيانة وقبول أن يحاكمها النِّظام علىٰ المقصلة التي يريد... بل له مقامات تحشيشية أُخْرَىٰ. ففي حين، علىٰ سبيل المثال، أنَّ القوى العسكريَّة الكردية بدعم روسيٍّ وغطاءٍ جويٍّ روسي تمارس حرب إبادة وتطهير عرقي وتهجير ضدَّ العرب المسلمين في الجزيرة السُّورية، وفي حين أنَّ روسيا ذاتها تقوم بحرب إبادة دينية بمباركة رجال الكنيسة الرُّوسية الكاثوليكية بوصفها بأنَّ الحرب الرُّوسية علىٰ السُّورية حرب صليبية مقدسة... فإنَّ روسيا تدعو تركيا إلىٰ التَّوقف عن إبادة الأكراد!!!

ولم تكتفي المتحدثة باسم الخارجية الرُّوسية ماريا زاخاروفا بهٰذا التهريج، فقد تابعت في مؤتمر صحفي الخميس ٢١ كانون الثاني ٢٠١٦م، وفق ما نقلت وكالات أنباء روسية، بأن أمريكا تتعسف علىٰ روسيا إذ تنكر أن روسيا تقدم مساعدات إنسانية للشعب السُّوري!!! وأعربت عن دهشتها من هٰذا الإنكار!!!

قصف الشَّعب السُّوري بمختلف أنواع الأسلحة ومنها ما يشبه أسلحة الدَّمار الشَّامل المحرَّمة دوليًّا، وارتكاب مجازر يومية في أرجاء سوريا اسمه عند الرُّوسي مساعدات إنسانيَّة!!!

عجبي
الأدهى من ذٰلكَ كلِّه كلِّه كلِّه
أن تكون في قلب النار
والجميع ينظر إليك ولا مغيث

وتصرخ مستنجدا بهم

وهم يسمعونك ولا يفعلون شيئاً

فبعد يومين من هٰذه التَّصريحات الهستيريَّة وتأجيل المفاوضات من ٢٥ كانون الثَّاني الحالي إلىٰ آخر الشَّهر ذاته، مبديئاً، بسبب رفض المعارضة أي تدخل، وإصرارها علىٰ تطبيق بنود قرار مجلس الأمن بوقف القصف وفكِّ الحصار وإدخال المساعدات الإنسانيَّة وإطلاق المعتقلات طار جون كيري مثل المجنون إلىٰ الرِّياض مقرِّ هيئة المفاوضات ليجتمع بهيئة المفاوضات ويأمرها بالذَّهاب إلىٰ جنيف من دون شروط.

قال في الدَّقائق الأولى من اللقاء مع رياض حجاب: إذا لم تذهبوا إلىٰ جنيف من دون شروط فستفقدون دعم حلفائكم، وسقف ما سيكون لكم هو حكومة وحدة وطنيَّة. أي من الآخر: الثَّورة مهدورة الدم كاملة والأسد هو الفائز بقرارٍ أمريكي. وهنا نفهم لماذا بدأ بما بدأنا به هٰذا المقال.

هٰذا، طبعاً، علىٰ أساس أنَّهُم حلفاء أساساً وليسوا هم ألد أعداء الثَّورة وأشد أنصار النِّظام...

لا تتوقف الحكاية هنا.

العدوان الرُّوسي فيما يبدو ما زال في بداياته. هكذا يبدو، ولٰكنَّ الأمر في الأغلب الأعم ليس كذٰلكَ، لقد أبنت في غير موضع طبيعة العلاقة الرُّوسية مع النِّظام وغاياتها من الوقوف معه هٰذا الموقف، وغاياتها من العدوان ذاته. هٰذا يعني أن روسيا رُبَّما تستنفد أغراضها من العدوان قريباً، ورُبَّما قريباً جدًّا.

ولٰكنَّ انتهاء العدوان الرُّوسي لا يعني نهاية الأزمة السُّورية، ولا يعني أبداً انتصار الثَّورة، ولا يعني أبداً إمكان وقوف روسيا مع الثَّورة... تلك حكاية أُخْرَىٰ، والأكيد الأكيد أن روسيا لا يمكن أن تقف مع الثَّورة بحال من الأحوال، لقد فاتها القطار وهي تدرك هٰذه الحقيقة. ولذٰلك لا يمكن أن نجد روسيا في أي وقتٍ قادمٍ واقفةً إلىٰ جانب الشَّعب السُّوري، إلىٰ جانب الثَّورة... هٰذا أمل إبليس في الجنة.

في ٢٠١٤/١/١٢م، أي قبل العدوان الرُّوسي المباشر بنحو عامين، نشرت مقالاً تحت عنوان هٰذا الغباء الذي لا علاج له في عدد من مواقع التواصل الاجتماعي منها موقع الجمعية الدوليَّة للمترجمين العرب، كان يفترض أن أدرجه ضمن فصول هٰذا الكتاب في ترتيبه الزَّمني، ولٰكنِّي لم أتذكره إلا بعد الانتهاء من إخراج الكتاب للطباعة، ولعلها من باب رب صدفة خير من ألف ميعاد، فإنَّ مكان هٰذا المقال المناسب هو في هٰذه الخاتمة وهٰذا هو المقال الذي سيلي أورده كما هو من دون أي تغيير أو إضافة أو تعديل، شأن مقالات الكتاب كلها:

يبدو للجميع أنَّ روسيا تتقدَّم علىٰ الجبهة السِّياسيَّة وتحقِّق انتصاراتٍ كبيرةً علىٰ الأمريكان والغرب، وتفرض إرادتها وإيقاعها في الملف السُّوري.

للتَّذكير فقط.

نشرت هنا غير مرَّةٍ منذ بداية الثَّورة أنَّ الرُّوس يمتازون دائماً بالاستثمار الغبي في السِّياسة... يتنطعون دائماً تنطُّع الثَّور للدِّفاع عن القطيع أمام هجمة الأسود... ويبوء موقفهم بالخزي أخيراً دائماً.

الحقيقة التي يجب أن يدركها الجميع هي أنَّ الرُّوس عبر تاريخهم لا يتَّخذون في المواقف الحرجة إلا أغبىٰ المواقف السِّياسية.

ولمن يحسب أن روسيا تحقق المكاسب وتتقدَّم وتفرض إرادتها وإيقاعها في الملف السُّوري نقول له: هٰذا فيما يبدو صحيحاً، فيما يبدو وليس في الحقيقة. ولنسأل المعجبين بدهاء الرُّوس في السِّياسة: ما التَّقدُّم الذي تحقِّقه روسيا في غير

الملف السُّوري؟ أين الموقف الرُّوسي الذي يستحقُّ القول إنَّها قويَّة سياسيًّا في غير الملف السُّوري؟؟؟

فقط في الملف السُّوري تستعرض روسيا عضلاتها وفي الملف السُّوري فقط وفقط... وحَتَّىٰ في الملف السُّوري لا تحسبوا أنَّ روسيا قادرةً علىٰ الاعتراض علىٰ الغضب الأمريكي إذا وقع. تذكروا عندما صرخ أوباما بعد الكيماوي ووجه البوارج إلىٰ السَّاحل السُّوري. حينها طأطأ لافروف وبوتين رأسيهما مثل الأرانب وقالوا: «روسيا لن تخوض حرباً مع أحد من أجل أيِّ نظام في العالم». وفي السِّياق ذاته أعلنت المحللة الرُّوسية سوبولينا أكثر من مرَّةٍ: «لا تلقوا اللوم علىٰ الڤيتو الرُّوسي، لو أردات أمريكا التَّدخُّل لما أبهت بالڤيتو الرُّوسي، عندها ألف طريقة للالتفاف على الڤيتو الرُّوسي...».

هٰذه هي نقطة الفصل، وهٰذا هو مفتاح اللغز: أمريكا تريد الڤيتو الرُّوسي وترحِّب به لتختفي وراءه، وهي في الوقت ذاته تدفع الرُّوس إلىٰ المزيد من التَّورط في الملف السُّوري حَتَّىٰ لا يكون لهم أي وجود في المنطقة... نفسيًّا علىٰ أقلِّ تقدير.

إنَّ ما يبدو ظاهرياً من تقدُّم للموقف والحضور الرُّوسي علىٰ السَّاحة السِّياسيَّة العالمية من خلال الملف السُّوري تحديداً ليس ناجماً عن قوَّةٍ روسيَّة ولا كفاءة سياسيَّة روسيَّة، وإنَّما هو ناجم عن تراجع الفعل الأمريكي، والإحجام الأمريكي عن ممارسة أيِّ دورٍ إيجابيٍّ أو سلبيٍّ في الملف السُّوريِّ. العجز الأمريكي عن عدم القيام بأي دورٍ جادٍّ . ظاهريًّا . في الملف السُّوري لأسباب أمريكيَّة وإقليميَّة هو الذي أفسح في المجال

لروسيا أن تلعب دوراً يبديها على أنها تستعيد إمبراطوريتها. بل إنَّ ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية كلُّه يساعد روسيا على الانتفاخ في تعظيم حضورها في الملف السُّوري، فالولايات المتحدة تمنع الدول الإقليميَّة التي تريد أن تساعد الثَّورة السُّورية من القيام بأيِّ فعلٍ مؤثِّرٍ في دعم الثَّورة السُّورية، وهٰذا ما يتيح لروسيا وإيران الظهور بمظهر القوي والفاعل والمؤثر في هٰذا الملف.

يعيدنا هٰذا إلىٰ التَّوريط الأمريكي لروسيا تحديداً ورُبَّما لإيران في الملف السُّوري أكثر. رُبَّما يكون ذٰلكَ عن دارية أمريكيَّة وتخطيط أمريكي، ورُبَّما يكون وهٰذا هو الأغلب من عجز الإدارة الأمريكية وضعف أدائها وعدم رغبتها في التورط في الملف السُّورية لأسباب إقليمية وأمريكيَّة كما أشرنا، ولٰكن في الحالين كليها روسيا موغلةٌ في التورط في خسارة رصيدها.

الرُّوس خسروا كلَّ شيءٍ في سوريا. مهما كانت نتائج الثَّورة السُّورية لم يعد لورسيا أي حضور في الذهنيَّة السُّورية إلا قلَّة قليلة ستحقد عليهم عندما يتخلون عن النِّظام السُّوري مثلما تخلوا سابقاً عن مواقفهم بكل خزي وعار في اللحظة الأخيرة من القرار الأمريكي أو الدولي.

هٰذا هو دأب الرُّوس في الغباء السِّياسي الذي يتكرر كلَّ مرَّةٍ بالطريقة ذاتها وبالإخراج ذاته: يتورطون في الوقوف موقفاً معاكساً للتيار، ويركبون رأسهم حَتَّىٰ اللحظة الأخيرة، ويكابرون على قرارهم الخاطئ، ويرفضون التراجع حَتَّىٰ لا تنكسر كلمتهم، وأخيراً تنكسر رقبتهم، ثمَّ يعودون للغباء ذاته في أول حدث كبير: كان أول ما نذكره لهم في

تاريخنا وقوفهم إلىٰ جانب محمد علي ضد التَّحالف الفرنسي البريطاني التركي، وعدوه ووقفوا معه حَتَّىٰ دمروه وانكسرت رقبتهم. مع عبد النَّاصر في عدوان حزيران تكرر الموقف ذاته، وقفوا معه، تعهدوا له، وعدوه، وصار العدوان وكانت النَّكسة العربية، والذل الرُّوسي. ومع صدام حسين في حرب تحرير الكويت وفي عدوان الاحتلال تكررت القصَّة ذاتها: ضاعت العراق، وانكسرت رقبة الرُّوس. ومع حليفتها الروح بالروح صربيا كانت القصَّة ذاته...

السِّياسة الرُّوسية في المواقف الحرجة تشبه المقامر الخاسر دائماً؛ يخسر ويصر علىٰ التعويض ويخسر ويصر علىٰ التعويض، ويخسر ويصر علىٰ التعويض... يغريه في بعض الأحيان ما يحسبه تقدماً أو ربحاً وهو فتات الإغراء. ألم تسمعوا عن حجشنة الدب الرُّوسي عندما يهجم فيخرب الدنيا من أجل فراشة؟! هٰذا هو الدُّب الرُّوسيُّ.

الغريب المدهش في ذَلكَ كله، وحَتَّىٰ هٰذه اللحظة التي لا أسرار فيها، أنَّ الرُّوس يمارسون هٰذا الغباء بغباء ويظنون أنهم يستغبون العالم ويسمون ذَلكَ مهارة وشطارة.

قال أنشتين يوماً: الغباء هو أن تفعل الأمر ذاته مرَّتين بالطَّريقة ذاتها وتتوقَّع نتائجَ مختلفةً... فكيف إذا فعلته مرَّاتٍ كثيرةٍ بالطَّريقة ذاتها وكلَّ مرَّةٍ تتوقَّع نتائج مختلفة؟ هٰذا هو الغباء الذي لا علاج له.

هنا ينتهي المقال المنشور قبل نحو سنتين من بدء العدوان الرُّوسي علىٰ سوريا. وما جرىٰ في العدوان لا يخرج في حقيقة الأمر عن هٰذا السِّياق بالمطلق، ما عدا بعض من التفاصيل الصغيرة التي ارتبطت

بالعدوان المباشر علىٰ سوريا. العدوان علىٰ سوريا هو الذي كان خارج الحسابات لأنه جاء في ظلِّ جملة من المعطيات والظُّروف الاستثنائيَّة التي كما أشرت في المقدمة وفي أثناء الكتاب أنَّها لم لم تستثمرها روسيا في لحظتها التاريخيَّة لما أمكن رُبَّما أن تتاح لها الفرصة مرَّة أُخْرَىٰ. ورُبَّما لذلك تكون هٰذه اللحظة هي اللحظة الذَّكية الوحيدة في السِّياسة الروسيَّة. والتفاصيل بَيْنَ ثنيات مقالات هٰذا الكتاب.

عزت السيد أحمد

الرابع من شباط ٢٠١٦م.

صَدَرَ لِلمُؤَلِف

- أعاجيب السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- أسس التوثيق؛ نحور نظرية عربية في التوثيق . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- آفاق التمدد الفارسي . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال والاستقالة والترميم . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.
- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.

- انهيار إنسانية الإنسان . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة ؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خيار سياسي – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار قيم المعارضة العربية . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- انهيار النظام العربي . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- تصنيف المقولات الجمالية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- تطوير التعليم العالي؛ الواقع والمشكلات والمقترحات . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- تفجيرات أيلول وصراح الحضارات؛ الولايات صنعت الحدث لتصنع المستقبل . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- الثوار والمعارضة والثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والمؤامرة الكونية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.

- الثورة السورية وأزمة القيادة . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- الثورة السورية والحلول التهريجية . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- الثورة السورية والنظام السوري . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الجمال وعلم الجمال . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الحرب على الدولة الإسلامية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- حوار في الذاكرة بيني وبنيتي . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.
- خطر نجاح الإسلام في السلطة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- رئيس وأربعة فراعين . . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- العالم على البركان . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- العالم في مواجهة الإسلام . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- العدوان الروسي على سوريا . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.

- العرب أعداء أنفسهم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.
- العرب جثة تنهشها الكلاب؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال الإعلاني . دار حدوس وإشراقات . عمان/ الأردن . ٢٠١٣م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- الغرب الجاني على نفسه . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون – دار طلاس – دمشق – ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأَصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.

- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- الكل يطلق المار النار على السوريين وثورتهم . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- لوحات من ألم الثورة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- ملحمة المجانين (ملحمة شعرية) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.

- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.
- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .
- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . ط١: دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م. ط٢: دار إنانا ٢٠١٠م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- وظيفة الفن . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٣م.
- يصغر أمامك الكلم (شعر) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.

* * *

فهرس فهرس

- **الإهداء**..... ٥
- **مقدمة الكتاب**..... ٧
- **الفصل الأول**: الموقف الروسي من النظام والثورة ٠١١
- **الفصل الثاني**: فيتو دبل كيك ٠٢٦
- **الفصل الثالث**: من ثلج جنيف إلى صقيع موسكو..... ٠٣٣
- **الفصل الرابع**: أخيراً اللعب على المكشوف ٠٤١
- **الفصل الخامس**: التدخل الروسي بين الموقفين العربي والدولي ٠٥١
  - . مقدمة ٠٥٣
  - . ا لموقف العربي ٠٥٥
  - . الموقف الأمريكي والدولي ٠٧٥
  - . موقف الأمم المتحدة ٠٦٠
  - . موقف إسرائيل ٠٦١
  - . خاتمة ٠٦١
- **الفصل السادس**: مفارقات التدخل الروسي المضحكة ٠٦٣
- **الفصل السابع**: التعاون الروسي الإسرائيلي في حماية الأسد..... ٠٧١
- **الفصل الثامن**: الأسد في موسكو مجلوباً أم زائراً؟..... ٠٧٩
- **الفصل التاسع**: تخبطات روسية مضحكة ٠٨٩

- **الفصل العاشر**: أسباب العدوان الروسي على سوريا..... ٠٩٧
- **الفصل الحادي عشر**: هل كان لقاء فيينا على الإيقاع الروسي؟.... ١٠٩
- **الفصل الثاني عشر**: من سيفاوض الثوار بعد روسيا؟..... ١١٧
- **الفصل الثالث عشر**: متى تجر روسيا أذيال الخيبة؟..... ١٢٥
- **الفصل الرابع عشر**: وتلجأ الدول العظمى إلأى الأمم المتحدة..... ١٣٧
- **الفصل الخامس عشر**: خفايا زيارة بوتين إلى إيران..... ١٤٧
- **الفصل السادس عشر**: لكم الله أيها السوريون..... ١٥٥
- **الفصل السابع عشر**: لماذا لا تحارب روسيا الدولة الإسلامية؟..... ١٦٣
- **الفصل الثامن عشر**: الشراكة الروسية الإسرائيلية السورية ١٧١
- **الفصل التاسع عشر**: روسيا تدخل مرحلة الجنون..... ١٨١
- **الفصل العشرون**: روسيا من الجنون إلى الهلوسة..... ١٨٩
- **خاتمة**..... ١٩٧
- **صدر للمُؤَلف** ٢٠٣
- **الفهرس**..... ٢٠٩

RUSSIAN AGGRESSION AGAINST SYRIA

Project of Extermination the People and Civilization

BY PROF.DR. EZZAT ASSAYED AHMAD

Published By DAR ANHAR

Beirut. 2016

Emil: sameah3@gmail.com

العدوان الروسي على سوريا

RUSSIAN AGGRESSION AGAINST SYRIA

Project of Extermination
the People and Civilization

POLITIACL PAPERS

BY PROF. DR.
EZZAT ASSAYED AHMAD

212

فرق كبير بين الدعم الروسي لنظام الأسد ضد الشعب والعدوان الروسي المباشر على الثورة والشعب السوري كان الدعم الروسي للنظام أمراً محبطاً للشعب السوري بل شكل له صدمة كبيرة لم يستطع تقبلها ولا تخيلها وظلَّ على مدار سنوات الثورة الخمس يتجرع مرَّها ويتألم حتى جاء العدوان الروسي المباشر ليشكل صدمة فاقت تفوق الصدمة الأولى مرات ومرات... ومع ذلك كانت سهلة على الشعب السوري بعدما رأى ما رأى من التخاذل بل المؤامرة الدولية الشاملة... ولكن قليلاً من المحللين استطاع أن يفهم طبيعة هذا العدوان وحقيقته

الدكتور عزت السيد أحمد

العدوان الروسي على سوريا

مشروع إبادة الشعب والحضارة

RUSSIAN AGGRESSION AGAINST SYRIA
Project of Extermination the People and Civilization
BY PROF.DR. EZZAT ASSAYED AHMAD
Published By DAR ANHAR. Beirut. 2016

دار الأنهار
2016